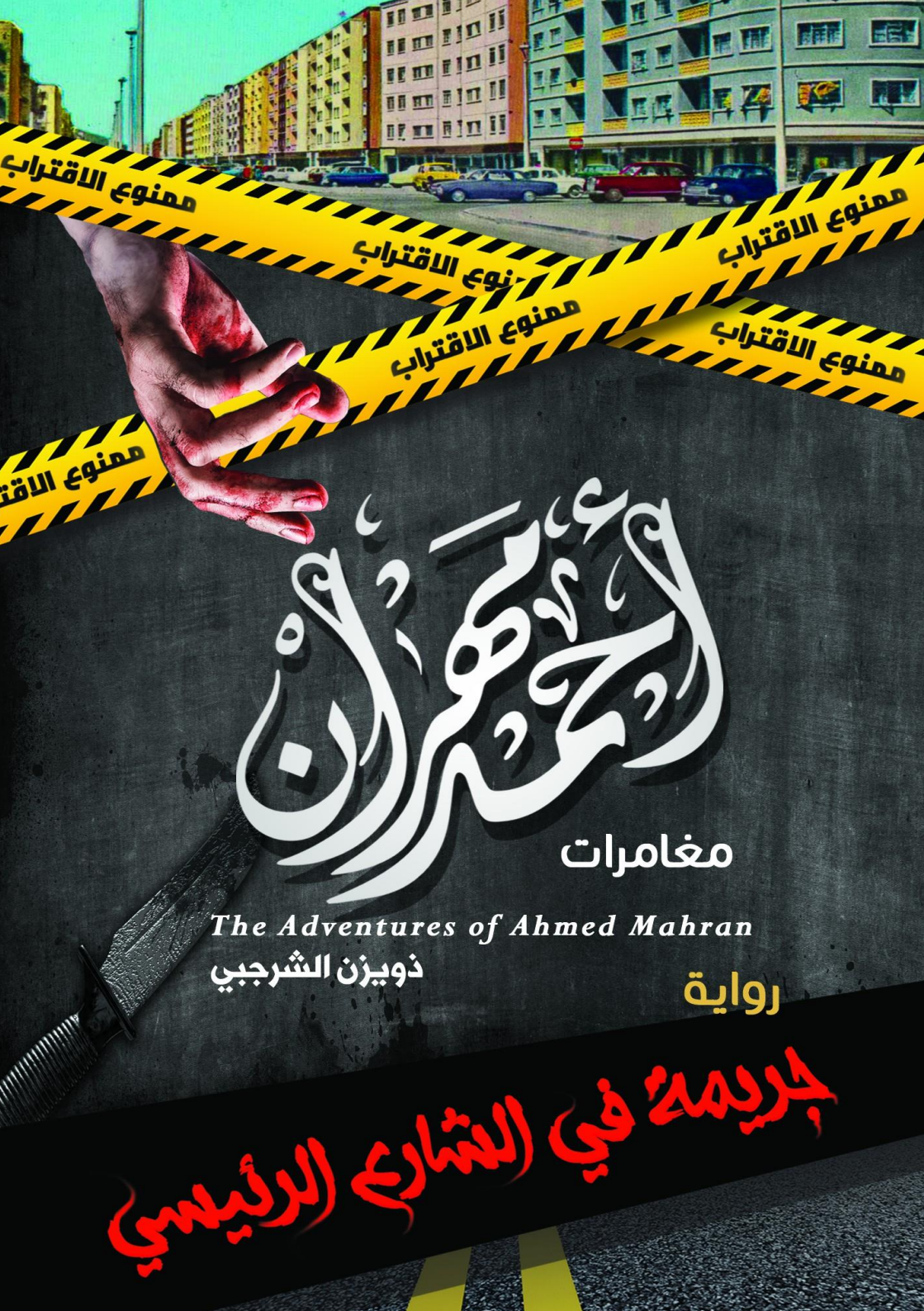
ممنوع الاقتراب
أحمد مهران
مغامرات
The Adventures of Ahmed Mahran
ذويزن الشرجبي
رواية
جريمة في الشارع الرئيسي

جريمة في الشارع الرئيسي

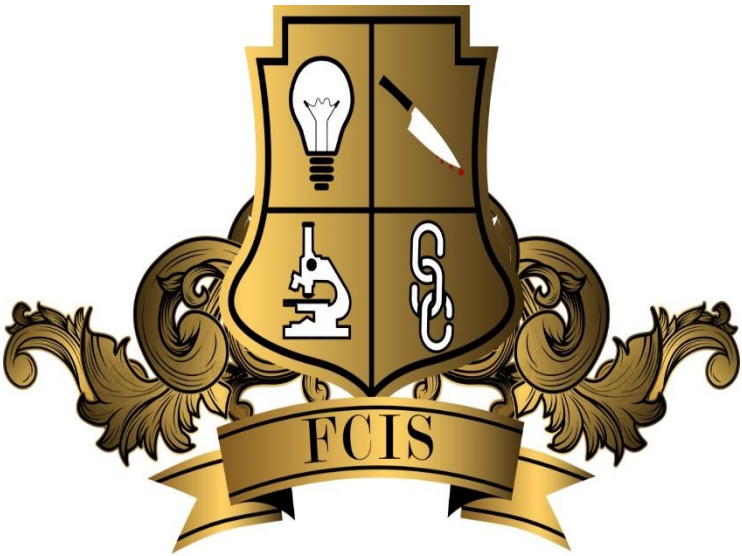

Fact

Criminal

Investigation

Series

سلسلة مغامرات المحقق أحمد مهران

للكاتب ذوينرن الشرجبي

الطبعة الأولى 2022
ISBN: 978-91-89288-55-3
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 2022-10-22-11-15
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، فاستراء جوتالند
البريد الإلكتروني
digitizethearabicbook.com

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع الاتحاد العالمي للمثقفين العرب.
© جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. المؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

الإيداع بدار الكتاب. صنعاء
برقـم (١٩٧٢)
لسنـة (٢٠٢٠)

الإهداء

إلى كل من وقف معي وساندني

لأجل إنجاح هذا العمل المتواضع

نبذة عن المؤلف

ذويزن محمد عبده قاسم غالب الشرجبي، يمني الجنسية، من مواليد ١٩٨٨ مدينة عدن، مديرية الشيخ عثمان، خريج بكلوريا إدارة أعمال، كلية العلوم الإدارية جامعة عدن. يُعدّ رائد ومؤسس الأدب البوليسي والخيال العلمي في اليمن. مؤلف سلسلة مغامرات المحقق أحمد مهران البوليسية، وسلسلة H2O للخيال العلمي المستقبلي، ورواية السرداب٣٧ في أدب الرعب وفانتازيا نهاية العالم، وله مؤلفات أخرى قيد الكتابة. من هواياته القراءة والكتابة ومتابعة البرامج العلمية والتجارب الغامضة. شغوف بلعب ألعاب الأحاجي والألغاز، وله بعض الإسهامات في مجال الاختراع والابتكار التي لم تسجل حتى الآن.

للتواصل مع الكاتب

اضغط هنا

اضغط هنا

اضغط هنا

مهران في سطور

مهران كأي شاب عادي يعيش في مدينة عدن المدينة التي لا تنام، لكنه اختلف بعض الشيء عن البقية، وذلك باهتماماته التي ظهرت منذ بدايات حياته، فقد ورث ثروة عن جده الراحل لا تقدر بثمن، الا وهي مكتبته الكبيرة، التي عكف على تجميع محتوياتها من مختلف اسفاره وجولاته، إذ كان جده لا يعود من أي رحلة يقضيها او سفر، إلا واحضر معه غنيمة متنوعة من الكتب والمقتنيات القيمة، فمنح هذا صديقنا القدرة على التفرد والابداع عن غيرة من الناس، مستعيناً بما عنده من علوم ومعارف مكتسبة، فقد تعددت مهارات بطلنا التي استخدمها في مختلف مغامراته وقضاياه، فنرى استعانته بعلم المقذوفات النارية وعلم آثار لطخات الدم كما في قضية (لغز القصاصة الورقية)، وتعامله مع البرمجيات الذكية والسيبرانية كما في قضية (رسالة من المستقبل)، او ما تطرق إلية من التفكير الموضوعي ذا الاحتمالات المتعدد او التفكير من وجهات نظر متفاوتة في الادراك، والتي سخرها لتجاوز ما يطلق عليها بالغاز الغرفة المغلقة، كما في (جريمة في الشارع الرئيسي)، وإتقانه لمختلف العلوم والمعارف الاخرى مثل: ديناميكا الطقس او الكيمياء الحيوية او الفيزياء التجريبية او علم الفسلجة او علم الفلك والفضاء الخارجي والكثير غيرهم من العلوم، مع إمكانيه توفر كل هذه الصفات والمواهب في شخصية خيالية واحدة..

ظهر مهران للمرة الاولى كان في عام ٢٠١٦ عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي في رواية (جريمة في جزيرة الموج الهادئ)، حيث تم نشر بعض الاقتباسات للرواية، ثم تلى ذلك ظهوره عام ٢٠١٧ في (لغز القصاصة الورقية) و(حيلة صندوق العدة)، وبعدها عام ٢٠١٨ باقتباسات اخرى في (جريمة في الشارع الرئيسي)، ثم في قضية لغز الشفق القرمزي في عام ٢٠١٩، وقضية العازف المفقود في عام ٢٠٢١، في وقت كان توفر مثل هكذا كتابات ادبية محلية، تكاد تكون منعدمة الوجود تماماً، ولكن ذلك لم يكن سبباً مانعاً، لاستحالة ولادة بطلنا المحقق.

الفصل الأول

كانت صبيحة ذلك اليوم ممطرةً بشدة، أحد أيام شهر سبتمبر من تلك السنة. يومها آثرت البقاء في المنزل؛ كوني لم أجد أي فرصة مواتية للخروج في ظل هذا الطقس السيء، فمثل هذا الجو مناسبة مثالية بالنسبة لي لأخذ غفوةٍ قصيرةٍ، بيد أن هنالك ما حثّني - من جهة أخرى - على البقاء مستيقظاً، وهو امتلاك حسام ابن عمتي لجهاز العاب إلكتروني جديد، قضينا معه معظم ساعات النهار في صالة استقبال منزلهم الخاص، ذات الفرش الوثير والتلفاز واسع الأركان. قضيناها بلعب مباريات كرة القدم الجولة تلو الأخرى. قلت لابن عمتي بعد عدد من الجولات، على سبيل مدح الجهاز الإلكتروني الجديد:

هل تعلم يا حسام أن الأجهزة القديمة لم تكن مسلية للّعب بالكامل.

رد حسام متسائلاً: ماذا تقصد بهذا الكلام..؟!

الذي أقصده بكلامي، أنه قبل أكثر من ثلاثين عاماً تقريباً، كانت الأجهزة المتوفرة حينها بسيطة التصميم ومحدودة المتعة، فبمجرد انتهائك من اللعب مطفئاً الجهاز، وهذا بالطبع ولبالغ الأسف بعد ساعات قليلة تقضيها في استخدامه، حتى تُطمس نهائياً جميع بيانات التقدم الخاصة باللاعب، والتي قام بإحرازها حتى أخر مرحلة وصل إليها، وذلك كون الكثير من الأجهزة القديمة، لم تكن تحتوي في تلك الفترة من الزمن، على حاويات مدمجة خاصة، وظيفتها حفظ مستوى التقدم في تطبيق اللعبة، أو حتى نظام خاص لتسجيل

هوية المستخدمين، ربما لعدم قدرتها وقتها على إمكانية التخزين الداخلي، لبساطة التقنية المستخدمة في تصنيع الجهاز، أو لربما أن الأمر يرجع إلى سياسة الشركة المصممة له.

أردف حسامٌ مضيفاً إلى كلامي وقال في إطراء وحبور:

ولكن الأمر اختلف كثيراً الآن كما تلاحظ، حتى في مستوى تصوير البيئة الرسومية، وإتقان تصميم شخصيات اللعبة.

يممت حينها على كلامه قائلاً: نعم معك حق فيما قلت.. "ثم سألته متحيراً" ولكن قل لي، أين أخوك مجد..؟! إني لا أرى له أي أثراً في المنزل، ولا أسمع له صوتاً حتى، أنا مُستغرباً من عدم انضمامه لنا في اللعب..؟!

أجاب حسام بنوع من اللامبالاة، وهو منهمكٌ بنظره على شاشة التلفاز، ضاغطاً على أزرار التحكم بسرعة:

مجد.. إنه في الخارج يلعب مع بقية أطفال (الحافة)..

في الخارج..!! "هتفت مستنكراً" وفي هذا الجو السيء، ألا تخشى عليه من الإصابة بالبرد، تحت كل هذا المطر المُنهمر..؟!

هز حسام رأسه بحركة بسيطة ثم قال:

(مالك منه هذاك الجاهل جنّي الجن، صدقنا ولا بيحصل له شي، هو هكذا يعجبه هذا الشيء)..

عقَّبت على كلام ابن عمتي، متعجباً من أسلوب تجاوبه وردة فعلة الغير مكثرته، وقلت له:

حسناً كما ترى أنت.. لكن أتمنى أن تكون العواقب سليمة..

بقينا على هذا الحال بعدها لوقتاً طويل، فمع الانهماك الشديد في جولاتنا المتتابعة، لم أُدرك بأننا صرفنا ساعات عديدة، وأن المطر قد توقف عن الهطول منذ فترة، وأن الشمس قد قاربت على الزوال، في ظل هذا الجو المُلبِّدِ بالغيوم، حتى نادت علينا عمتي أم حسام من المطبخ قائلةً:

هيا يا حُسام.. متى ستذهب إلى بيت جدتك، وتحضر ما أخبرتك به..؟؟

رد حسام بتململ ظاهر، مشيحاً بيده على قفى رأسه، قائلاً بصوت مسموع:

حسنا يا أمي.. بقي القليل لي، سوف أُكمل هذه الجولة، وسأذهب فور إنتهائي منها.

أردفت عمتي بنبرة انزعاج، بدت واضحة على صوتها قائلةً:

عن أي جولة تتحدث، وهذا الكلام تُكرره لي منذ الظهيرة، لقد توقف هطول المطر منذ مدة، وجدتك قد أتصلت أكثر من مرة تسأل عن موعد وصولك، إنها قلقةً جداً عليك..

أخبريها بأنني سوف آتي بعد قليل، دقائق قليلة وسوف أنتهي..

ردت عمتي بانزعاج أكبر وقالت: لقد مضى لك إلى الآن أربع ساعات متواصلة منذ الظهيرة، وأنت لا زلت تكرر لي نفس هذه الكلمات، متى ستُكمل جولتك تلك وتنتهي من هذه اللعبة، هيا أسرع قبل أن يأتي الظلام..!!

التفت إليّ حسامٌ وقتها مبتسماً بفم مفتوح، وعلى وجهه علامات الاندهاش والمرح وقال:

هيه.. لقد قالت قبل أن يأتي الظلام، إنها تخاف عليّ من الليل والظلام.. ثم قهقه ضاحكاً بجذل..

رددت عليه وقلت: أخبرها بأنني سوف أرافقك إلى بيت الجدّة.

هتف حسام مستبشراً وقال: أحقاً سوف تُرافقني..!؟

نعم أريد التمشي قليلاً على قدميّ في الشارع "ومددت قدميّ الخاملتين ثم أكملت" فبعد كل هذا الجلوس الطويل، لا يوجد أفضل من جولة بسيطة خارج المنزل، خاصة بعد توقف هطول المطر في هذا الجو اللطيف، أريد أن أرتشف كوباً من الشاي الأحمر، وأتناول بعضاً من قطع (المُقصقص)، من إحدى تلك المقاهي التي تتواجد على طول الشارع الرئيسي، أوليس بيت الجدّة يقع في منطقة المُعلا..!!

نعم إنه هناك "يمم حسام على كلامي يهز رأسه ثم أكمل قائلاً" في تفرع صغير خلفي، يبعد مسافة قصيرة عن الشارع الرئيسي.

هتف حسام بعدها لأمة وقال: لا تقلقي يا أمي.. أحمد سوف يرافقني إلى بيت الجدّة.

ردت الأم برضى ظاهرٍ على كلام ابنها وقالت:

حسناً إذن.. ولكن لا تتأخرا أكثر..

وهكذا أخذنا فرصتنا للاستمرار في اللعب لبعض الوقت، وما إن اقتربت عقارب الساعة من السابعة مساءً، حتى أكملنا استعداداتنا للتوجه لبيت الجدّة. سبقني حسام لتشغيل سيارته، محاولاً إدارة مفتاح محركها، وبقي على هذه المحاولة لفترة طويلة، لكن دون جدوى، فيا للأسف.. فمحرك السيارة لم يدُر مطلقاً، وأستمر حسام بتكرار محاولته، ولكن دون تحقيق أدنى نتيجة تذكر، فأشرت له على سبيل التجربة وقلت:

افتح غطاء المحرك، أريد إلقاء نظرة سريعة، علّي أجد سبب المشكلة.

فتح حُسامٌ غطاء المحرك، وشرعت قبل أي شيءً بتفقد حالة البطارية، فكانت النتيجة حينها تماماً مثلما تصورت، لِدى قلت له:

متى كانت آخر مرة تفقدت فيها بطارية السيارة..؟؟

ليس قبل فترة بعيدة، منذ وقت وصولك من السفر، أي قبل ستة أشهر تقريباً من الآن..

هتفت مستنكراً على كلام ابن عمتي وقلت:

مُنذُ ستة أشهر..!! ولم تهتم حتى بإلقاء نظرة ولو خاطفة على البطارية، لتتأكد من سلامتها..

أخرج حسام رأسه من نافذة السيارة، وقال باستغراب مُبالغ أهوج:

لا.. لماذا تسأل هذا السؤال، والبطارية ما زالت جديدة، قبل ثلاثة أيام فقط، قُدت السيارة حتى خط البريقة، ولم أواجه أي مشاكل تذكر..!!

لاااا.. "رددت متهكماً بإنفعال" لا شيء هام أخبرك إياه يرقى لمستوى التطلعات الجليلة، ولكنني أبشرك بأن البطارية قد توقفت عن العمل..

هتف حسام فيّ متعجبٍ طاغي من كلامي وقال:

ماذا..!! ما الذي حدث..!؟ لماذا تقول مثل هذا الكلام..!؟

تعال وأنظر هنا بنفسك لأقطاب البطارية "وأشرت لموضع إحدى الاقطاب" سترى كيف أنها مُغطاةٌ بالكامل بطبقة كلسية بيضاء سميكة، وهذا ما يحصل بالضبط عند إهمال صيانتها، وعدم الاعتناء بها لفترة طويلة من الزمن، وفي النهاية تتلف البطارية وتعجز عن توصيل مقدار الطاقة المعتادة، بعد أن تكون قد استهلكت نفسها ومن غير جدوى، نتيجة لتبخر سوائلها الكيميائية في جونا الحار والرطب، وهذا الأمر للأسف ينطبق على بعض البشر أيضاً، وهذه حقيقة محضة..

رد حسامٌ على كلامي بسخرية وتهكم هو الأخر لاوياً فاه، وقال:

هيا بنا يا أستاذ حقائق، تعال معي بسرعة لنلحق ونستقل أقرب (باص) يوصلنا إلى بيت الجدّة، وإلا ستجعلنا عمتك ننام الليلة من غير طعام العشاء، وأعتقد أن هذه أيضاً ستكون حقيقة لا يمكن نُكرانها..

اندهشت وقتها من تعليق حسام الساخر حد الإقرار بغلبته، وضحكت ضحكة باهتة، وبادرت حسنها باحتواء الموقف قائلاً:

حسناً إذن لنذهب، وسأهتم بدوري بصيانة البطارية عندما نعود للمنزل.

توجهنا بعدها إلى مكان تجمع (الباصات) المؤدية إلى منطقة المُعلا، نزولاً من منطقة الطويلة، واخترنا وقتها المشي على طول سوق (البز)، كونه أكثر المسالك المختصرة في طريقنا. شاهدت في أثناء مشي المباني القديمة المُتراصّة، التي تعود إلى بدايات القرن الماضي وأكثر، والبائعين المتجولين للسلع الاستهلاكية والأساسية المختلفة، الذين افترشوا رصيف الشارع بأجربتهم المليئة وبضاعتهم الجيدة، ولا ننسى أيضاً ما أشتهر به الشارع وداع بسببه صيته وأنتشر، لما احتواه من محلات كثيرة لبيع مختلف أنواع الأقمشة، والملابس التقليدية العدنية والمستوردة، التي ملأته حتى آخره. مشينا على طول الشارع بهدوء وروية، خلال تلك الأجواء الرقيقة والساحرة، تحت هبات الرياح اللطيفة التي زخرت بالرذاذ الندي والمُنعش، وفوق الأرضية المرصوفة بعناية والتي وشحت ببقايا المطر، وسط الجمع القليل من المارة والبائعين المتجولين، وأنا في قمة السعادة والانبهار، فقد أدهشتني طبيعة تكوين هذا الشارع البديع وأجوائه الرقيقة والصافية، وسحرني المنظر ساعتها وآثار فيّ شجوناً ووجداناً لحد لا يوصف. لحقنا عند وصولنا إلى ركن (البنك الأهلي) - في نهاية الشارع - بأحد (الباصات) الصغيرة التي تمر بالموقع، فأخذ الأخير السير في طريقه على طول شارع الملكة أروى صاعدين للأعلى، في الطريق الذي كان أشبه بمنحدر صغير، مروراً بمنطقة مسجد أبان، ومن ثم مكتب إدارة الاتصالات المحلية، ومنطقة (سالم علي) وأخيراً منطقة ودوار (العقبة) العريق في قمة الشارع، وهكذا كانت رحلتنا القصيرة، غير أن (الباص) أخذ حينئذٍ وقتاً طويلاً في مسيرته، إذ تعوَّد السائق اللجوج على التوقف المستمر، ليُحمِّلَ الركاب من على طول الشارع،

دون مراعاة لاحتياجات البقية الموجودين وبشكل مزعج جدّاً، وهذا ما أصابنا بالملل خاصة ابن عمتي حسام، الذي أفتقد بشدة ساعتها لعبة كرة القدم، وإحساس الضغط بأصابعه على أزرار التحكم، فقضى الطريق كله يذكرني بأسماء اللاعبين وجنسياتهم ومواقع لعبهم، وعن أي تشكيلة سيستخدمها في مباراتنا القادمة ليهزمني بها، مع معرفته التامة وقتها، بعدم إجادتي للعب..

أستمر الحال علينا على هذا المنوال، حتى وصلنا أخيراً في نهاية المطاف إلى وجهتنا بعد عناء طويل، إذ كانت الساعة عندئذٍ قد تعدت الثامنة مساءً. ترجّلنا من على وسيلة نقلنا بانشراح وسرور عارم، عند إحدى المنافذ التي تطل مباشرة على رصيف المشاة، وتنفسنا الصعداء. مشينا بعدها على امتداد الشارع الرئيسي خلف جزئه المُسور، بقصد الوصول إلى المدخل الفرعي المؤدي إلى بيت جدةِ حسام، وعلى غرار بقية الشوارع الداخلية النشطة، فقد تميز كغيرة بالطول والازدحام بالمارة والمركبات الخاصة كحد سواء، ولكن ذلك لم يمنع من وجود التنظيم والتنسيق، لباحاته الواسعة ومبانيه العالية، التي ارتصت على طوله، ليسر علينا ذلك في الأخير مشوارنا..

لم يمضِ بعدُ على مشوارنا القصير دقائق معدودة، حتى تراءت لي من البعيد أضواء بدت مألوفة جداً، كانت هي الأضواء المتقطعة والمجمومة نفسها بلونيها الأحمر والأزرق، المميزة لسيارات الإسعاف. هممنا وقتها بالإسراع صوب المصدر القادمة منه في وجلٍ ولهفة، وما إن دنونا أكثر من الموقع، حتى تبينت لي الأمور..

رأيت منظراً سيئاً ومشؤوماً على رصيف الشارع، إذ وقع حادث فظيع جدّاً، أمام بوابة إحدى العمارات المطلة مباشرة على الشارع الرئيسي. رأيتُ من على بُعد ومن فوق أكتاف المتابعين شخصاً ملقىً على الأرض، مغطىً بقطعة قماش بيضاء كبيرة قد تضرّجت بدمائه بكثافة، محاطاً من كل جانب بجمع غفير من المتفرجين والمتابعين، الذين تدافعوا فيما بينهم بتوتر وفضول، والذين تفاوتت ملامحهم الشاخصة ما بين المصدوم والمرعوب..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل الثاني

قُطع الطريق، وكثُرَ الزحام، وأزداد عدد المتفرجين شيئاً فشيئاً بالقرب من ساحة الحادث، ولكن من على مسافة، فقد وصل البوليس الجنائي، وأمّن الموقع جيداً، ووضع الشريط المصفر الذي يُحذرُ بتاتاً من الاقتراب، حدهُ أولئك الأفراد من الأمن، الذين أبعدوا المتفرجين قدر الإمكان، ودنا ذلك المحقق المختص بحقيبة معداته، ليرسم بالطباشير حدوداً حول الجثة الملقاة أرضاً، ويتبين حالتها ووضعية سقوطها، بينما قام زميليه الآخرين بأعمال مختلفة، فأحدهم أهتم بوضع لوحات بلاستيكية صغيرة عليها أرقام مختلفة، بجوار كل ما هو مرتبط بالحادث، أما الأخر فقد أنهمك بالتقاط صُور عديدة لكل ما سبق، من زوايا متعددة، بعد فُروغ زميلاه من عملهما، يلحظ الحالة الخاصة للضحية عن قُرب، والدلائل الناتجة عن الحادثة، قبل أن يرسلها فريق النقل المختص في آخر المطاف للمشرحة. أزاد تجمهر المارة قُرب الموقع بشكل أكبر عن ذي قبل، وأخذوا يثرثرون ويتهامسون فيما بينهم، حول الأسباب التي أدت لوقوع الحادث الأليم، فقال رجل عجوز منهم:

(يا ساتر، أيش اللي حصل هنا..!)

وقال آخر بقلق واضطراب:

مصيبة..!! كيف ستعمل خطيبته..؟!

وأخذ اثنان آخران يتجادلان حول علو الشرفة التي وقعت منها الضحية، ويتشارطان على أمور تافهة لا شأن لهم بها.

وقال متفرج مستهتر وممتعض:

هل أنتحر بعد أن جمع كل هذا القدر من النقود، وقفز من الشقة التي أشتراها مؤخراً، هذا ما لا يصدقه العقل إطلاقا، هذا (واحد بطران)..

بينما همس ذاك الأخير - لنفسه - الذي أخفى وجهه بعناية، ووقف خلف جموع الناس بخبث، قائلاً:

لقد أستحق ما حصل له..

حاولت صرف اهتمامي بعيداً عن الموضوع بقدر المستطاع، بمجرد تبيني لحقيقة ما حدث، كوني لم أرغب مطلقاً بالتدخل في القضية، وذلك بعد وقوفي على الصورة الأولية البشعة التي استوعبتها مباشرة، ومن أين لي اصلاً شأن بها. هممت بالابتعاد عن المكان بسرعة، وجذبت حساماً من مرفقه، بمجرد رؤيته قد بدأ يحشر بنفسه بين أفواج المتفرجين، ويقف في صفوفهم الأولى، فقلت له:

هيا بنا لنتحرك، لندع الأمر لأصحابه ولنمضِ في طريقنا..

قاطعني حسامٌ بتلكؤ وسذاجة وقال: أنتظر أنتظر قليلاً.. أريدُ أن أعرف كيف وقع الحادث، الكثير من الموجودين لا يعرف ما حدث بالضبط، ولكن هناك شائعة يتداولها البعض منهم، أن الشاب قد ألقى بنفسه متعمداً، من على شرفة شقته الخاصة، أتصدق هذا الكلام..!؟

ثم أشار حسام بإصبعه إلى الأعلى وأكمل قائلاً:

أنظر هناك فوق.. إلى تلك الشقة العالية..

رفعت بصري إلى حيث أشار حسام، وطفقت أنظر في تأمل، إذ كانت الشقة وقتها عالية جداً كما يقول، قد قارب ارتفاعها الخمسة طوابق، لتظهر شرفتها الساكنة فاقدة للحياة تلوح وسط الظلمة بصمت مخيف، محاطة بالملائات والستائر التي تدلت منسدلة من على الشُرف المجاورة، من خفقت ترفرف طوال الوقت بعصيبة وانفعال مشؤوم، تحت تأثير تيار الريح العاصف، والذي كان بمجمله منظراً يبثُ على الرهبة والقشعريرة في الجسد، بمجرد التفكير باحتمالية السقوط من هذا الارتفاع الشاهق، بيد أنني رددتُ عليه بانزعاج ونفاذ صبر بالغ، كراهيةً من متابعة هذا المشهد البائس، وقلت:

هذا الأمر ليس من شأننا إطلاقاً، الم نكن منذُ دقائق قليلة مضت، متوجهين في طريقنا صوب بيت جدتك، أو أنك قد نسيت الأمر برمته بهذه السرعة..؟؟

هتف حسام بإنفعال مصدراً صفيراً سريعاً من فمه وقال:

اووف.. لقد نسيت الأمر كلياً.. هيا بنا نستعجل وإلا غضبت جدتي علينا..

تمتمت حينها بكلمات لكتها بفمي بسرعة، وقلت له ممتعضاً:

تغضب علينا.. وأنت الذي كنت منجرفاً بشدة، بين التيارات النهمة لأمواج الفضوليين..!!

تابعنا المشي بعدها في طريقنا، وابتعدنا تدريجياً عن الحشد المكتظ، لننعطف عند أحد الأزقة الجانبية، التي أوصلتنا مباشرة لوجهتنا. رأينا الجدّة من على البُعد، تقف أمام باب منزلها تحت ضوء عمود الانارة، تكلم إحدى النسوة باهتمام ظاهر وتأثر، كما بدى من حركات يديها ورأسها المنفعلة، وما إن لمحتنا المرأة مقتربين تجاه البيت، حتى تركت الجدّة بسرعة ومضت في سبيلها..

استقبلتنا الجدّة وقتها بحفاوة وسِعة، وقال لها حسام مطمئناً إياها:

أنظري يا جدة سوسن من أحضرت معي..

في تلك اللحظة، نظرت الجدّة سوسن إلى وجهي بشرود لبرهة، ثم إني قد علمت أنها قد تعرفت على صورتي، فور رؤية ملامحها الرضية وقد اجتاحتها مسحة من الحزن والبهجة في آنٍ واحد. سرحت في عقلي - في تلك اللحظة - من فرط تأثري بالمشهد، بمجرد أن وضعت كفيها النحيلين والغضين على وجنتي، لتشرع وقتها في التحديق في وجهي باهتمام مرهف، بعينين متأثرتين أبتلت مقلتاها المبيضتين بالدموع، وليأخذ دقنها الصغير بالارتجاف من شده تأثرها برؤيتي، قائلةً لي في سعادة وحبور:

ها أنت ذا.. أيها العزيز أبن العزيز..

تدارك حسام الموقف على حرج وقال:

هيا يا جدة سوسن ندخل للبيت، سوف تُصابين بالسوء في هذا الجو البارد..

هزت الجدّة رأسها موافقة، وردت بتؤدة قائلةً:

هيا يا (ابني) هيا..

في الداخل، أتخذنا أنا وحسام مكاناً لنجلس فيه، في غرفة جانبية أعدت للضيوف، والتي فرشت أرضيتها بمجلس عربي تقليدي، وتوسطت ساحتها سجادة حمراء بديعة التصميم، وزينت جُدرانها بقطع قماش مصبوغة ومطرزة، لمناظر طبيعية وحيوانات أليفة، واكتنفت في زاويتها على خزانة خشبية كبيرة، احتوت رفوفها على الكثير من القِطع والتُحف الفنية، المصنوعة من الفخار والخشب الأحمر، ومجموعة كبيرة من الأدوات المنزلية الزجاجية والمعدنية الصنع، وصور قديمة لبعض أفراد العائلة من مختلف الأعمار والأجيال، وآيات قرآنية منحوتة على خشب لامع بخط عربي جميل. اجتاحتني وقتها مشاعر غامرة بالبهجة والانشراح، خاصة بعد رؤية كل تلك المقتنيات المحببة والبديعة معاً، مستعيداً في ذاكرتي أيام طفولتي القديمة، ثم ما لبثتُ أن أقبلت علينا الجدّة سوسن، حاملة بكلتا يديها صينية فضية صغيرة فريدة التصميم والزخارف، اشتملت على الكثير من الكعك والمكسرات، بالإضافة لكأسين من مشروب الكركديه البارد والمنعش، وعلبتي مشروب غازي.

قال لها حسام بعد أن جلست بالقرب منا، وعلامات السعادة والرضى تلوح على محياها:

كيف اصبحت أحوالكِ الآن يا جدة..؟! أردتِ أن تري أحمد وها هو أحمد عندك الآن، قد أتيت به إليك كما وعدتك..

ارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتي الجدّة، أعادت التوردَ لوجنتيها الباهتتين، واستهلتني قائلة:

كيف حالك يا (ابني)، مالك لا نراك كل هذه السنين، (طوّلت) أنت وأبوك (بالغيبة)، الظاهر أن الغربة قد أعجبتكم كثيراً..!!

لا يا جدة سوسن "رددت عليها وقلبي يفيض شغفاً وتأثراً" أنا أعلم أننا مقصرون كثيراً في حقك كل هذه الفترة، ولكن أنت تعرفين الظروف الخاصة بنا في الخارج، وانشغال أبي الدائم طوال الوقت بعمله.

ردت الجدّة بحزن وأسى طغى على محياها فجأة قائلةً:

نعم يا (ابني).. إنني أعرف الظروف جيداً، فبعد موت أمك المرحومة، واجه والدك أوقات عصيبة جداً، وإنني لأُقدِّر غيابكم عنّي طوال تلك الفترة، وهذا (الّي صبرني) كل هذه السنين..

رددت مواسياً إياها وقلت: خير يا جدتي خير.. "وسكت كلانا لوهلةً نتبادل فيها النظرات المتأملة"..

أنبرى حسامٌ فجأة، وسط حلقة السكوت مقاطعاً الموقف مرة أخرى، وقال متسائلاً بفضول:

يا جدة سوسن، أرغب بسؤالك سؤالاً صغيراً، ترى ما الذي حصل هناك على الرصيف المقابل للشارع الرئيسي..؟؟ سمعت أن حادثاً كبيراً قد وقع، وأن شابّاً قد رمى بنفسه من على شرفة شقته..!!

ردت الجدّة فوراً مُستنكرة على كلام حسام، بنبرة يملئها الاعتراض والنكران المُطلق، وقالت:

لا يا (ابني) لا تقول مثل هذا الكلام السيء، لا تظلم ذاك الشاب المسكين، إنه إنسان طيب، ولا يمكنه أن يفعل ذلك لنفسه.

رد حسام مستغرباً من كلام الجدّة وقال:

ماذا تقصدين يا جدة..؟! الم يُقدم إذن على رمي نفسه من شرفة شقته..!؟

هو لم يُقدم على ذلك ولم يرمي بنفسه بتاتاً، فقبل قليل كانت عندي جارتنا زوجة (الحاج) هاشم، وأخبرتني بكل ما حصل، وقالت بأنها كانت مُنذُ ساعتين فقط في دكان ابو سالم، الكائن تحت العمارة التي تتواجد فيها شقة الشاب المسكين، وقد سألته بالمصادفة عن كيس رأته على أحد الرفوف ممتلئ بالطعام، ليرد عليها بأنها مستلزمات أحد الجيران في العمارة، يقوم كعادته اليومية بإنزال سلتهِ المربوطة بحبل في وقت محدد، إلى الدكان الذي يقبع بالدور الأرضي، حتى يزوده صاحب الدكان بما يحتاج من مستلزمات ضرورية، وذلك لبقائه طوال اليوم بالشقة التي أشتراها مؤخراً، منشغلاً بأعمال الترميم والإصلاحات اللازمة، استعداداً لموعد زواجه القريب..

"يا للغرابة..!!" قلتها في نفسي، فما إن انتهت الجدّة سوسن من كلامها، حتى خالجني شعور مبهم تجاه القصة التي روتها قبل قليل، فكيف يُقدم شاب مقبل على الزواج برمي نفسه، ووسط انشغاله الشديد حسب ما فهمت، في تجهيز مستقبله ويقضي على حياته، وهذا ما دفع بالريبة والشك أكثر لتجتاح أفكاري، إذ أنني شممت حينها رائحة لاحتمال وجود فعلٍ أثم، وجريمة قتل مدبرة بعناية، نسجت خيوطها الخفية بإحكام، في حالة أن تكشفت لاحقاً بعض الأدلة التي تدعم هذا الافتراض. حاولت تجاهل الموقف مرة أخرى قدر

الإمكان، لعدم رغبتي في خوض أي تجربة جديدة مُنهكة، لكن حسام اللجوج لم يدع لي أي مجال، فقد نظر إليّ كعادته محملقاً بغرابة واستفزاز وقال:

وأنت.. كيف ترى الأمر..؟؟

أجبته رافضاً كلامه بشدةً، وهتفت بإنفعال قائلاً:

أرى أن لا شأن لنا بالموضوع بتاتاً، فالبوليس قد حضر وأحاط بالقضية، وسيتكفَّل وحده بحلها وإيجاد مرتكبها إن وجد مشتبه به، (بعدين ليش) تُفسر كل الحوادث دائماً بأسلوب سلبي المُنطلق، وكأن هنالك أشخاص سيئون موجودون على الدوام، يكونون هم المُسبب الرئيسي في إحداث المآسي لكل ما يحط بهم..؟؟

هتف حسامٌ بدوره منفعلاً، مشيحاً بيده أمامه، ومشيراً إلى موقع الحادث قائلاً:

أنا لا أُحمِّل الغرباء أسباب المآسي، ثم كيف تقول أن البوليس سيتكفل وحده بإيجاد المشتبه به..؟! الناس كلهم هناك في الشارع، يجزمون بإقدام الشاب على الإجرام في حق نفسه، ويكاد البوليس بنفسه بأن يُسلم أيضاً بهذه النتيجة، وهذه بالمناسبة ستكون مشكلة جلية، إذا خلصت مُخرجات التحقيق لتستقر على هذه النتيجة، الا تلاحظ سيران الأمور لتركن صوب نتيجةً، بعيدةً كل البعد عن الصواب والمنطق..

رددت على اعتراضه بهدوء وقلت بإيجازٍ وصوت رصين:

الناس تصدق الذي تريد تصديقه فقط، ولا شأن لنا بقرارات البوليس، ففي النهاية نحن مجرد أناسٌ عاديون، ولا دخل لنا بالأعمال التي تفوق طاقاتنا..

لم يمنع اعتراضي هذا من تغيير تعنت رأي ابن عمتي حسام، ولو بالقدر اليسير، فقد أستفحل به العناد وبلغ مبلغاً كبيراً، ليرد عليّ بعد أن أغاضته إجابتي، بتفاصيل وجهه الساخر قبل كلماته، قائلاً في استفزاز مُريع:

إذن.. ستترك الأمر ليمر مر الكرام، أيها العارف الكبير..؟!

أردفت عليه بنفس الهدوء السابق وقلت:

نعم أعتقد ذلك.. بل أنا مُصّرٌ عليه، فهذا التصرف خير لنا جميعاً كما تعلم، ثم ما شأننا أصلاً بالموضوع..؟؟ يجب علينا الامتناع نهائياً، عن حشر أنوفنا فيما لا يخصنا، لأنني لا أريد التورّط بمشاكل جديدة معقدة، مثل ما حدث تماماً في آخر مرة، مع قضية موت (الحاج شكري)، فقد رأيت بنفسك كيف آلت إليها الأمور، وكيف استطعنا الانتهاء والتخلص منها بشق الأنفس، بعد أن كادت حياتنا نحن أن تنتهي في خطر محدق.

بسط حسام يديه أمامه وأجاب بهدوءٍ مسترسلاً:

صحيح قولك بأننا قد تحملنا المشاق الجسيمة، ووصلنا لوضع غير محسود إطلاقاً، ولكنك أنت وحدك من حللت اللغز في الأخير، وأنت وحدك من كشفت جميع ملابسات القضية، وفوق ذلك كله أمسكت بالفاعل، الذي لم نكن نعلم هويته الحقيقية، بل لم نكن نعلم حتى بوجوده من الأساس، واستطعت اخراجه في الأخير من بين كل مواطني مدينة عدن..

نظرت إليّ الجدّة سوسن وقتها بإطراب وأسىً عميق لاح على قسمات وجهها، وقالت بلهجة ترجّي سائلة:

(شوف يا بني) إنني أعلم أنك لا تريد إدخال المشاكل والتعقيدات الكبيرة على حياتك، ولا تريد إثقال كاهلك بشؤون الآخرين، ولكن إذا لم ترغب بمساعدة رجال البوليس، في كشف حقيقة موت الشاب المسكين، قُم على الأقل بنُصرة خطيبته المنكوبة، وأثبت بأن الشاب لم يُقدم على قتل نفسه، حتى تستريح روح الفتاة المسكينة نهائياً، وإلا ستبقى هكذا معذبة لبقية أيام حياتها..

حزّ الأمر في نفسي بعض الشيء لما سمعته من كلام الجدّة، لكن وصول القضية في ذلك الوقت لوضع متأزماً جداً، بعد أن رزحت كل جهود المبذولة لتلك النتيجة، قد لا يحرز بتدخلنا الآن بتاتاً في محاولة تغيير الموقف أي تقدم يذكر، بالإضافة إلى أننا مقبلون على تجربة جديدة لا عِلم ولا طاله لنا بها نهائياً، وذلك ما مثل حملاً ثقيلاً صَعُبَ عليّ صراحة التكهن بتبعاته، بيد أنني مع ذلك كرهت ترك الأمور - كما تعودت - ناقصة وغير مكتملة، ولا ننسى ايضاً الأذى الذي سينزلُ على ذوي الشاب الفقيد، إذا ما أُقفلت قضيته على هذه النتيجة المؤسفة، فما كان منّي بعد ذلك إلا التسليم بجدية الامور، والرضى بالواقع المُحكم، خاصة بعد أن نفدت من رأسي كل الخيارات المتاحة، فأطلت حينها التفكير بصمتٍ شديد، وأنا خافضٌ رأسي للأمام لبعض الوقت، تحت انهماك نظراتهم المتلهفة لسماع رأيي، أقلب جميع الاحتمالات المتوفرة، محاولاً عبرها تدارك ما استطعت حصره من تبعات مستقبلية للموقف، من لن

أستطيع التحكم بها إذا ما خرج الوضع عن سيطرتنا، وقلت بعدها لحسام متنهداً، بعد حسمي من أمري نهائياً:

موافق.. لكن من (بعيد لبعيد)..

هتف حسام وقتها مستبشراً وقال: حسناً لك ذلك..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل الثالث

اقتنعت بكلام ابن عمتي حسام وغادرنا بيت الجدّة من فورنا، متوجهين صوب المكان المحدد، الذي كان مسرحاً لوقوع الحادثة، وذلك مباشرةً بعد إعطاء الجدّة خبراً مؤكداً، بأننا قد نتأخر في الخارج لانشغالنا بعملنا، او لربما بوجود احتمال كبير بالمبيت عندها هذه الليلة. في أثناء مشينا، أخذت أراجع في فكري كل ما توفر بين يديّ من معطيات أولية، تخصّ مُلابسات الحادثة حتى الآن، بكل ما حوته من أبعاد، محاولاً إيجاد حقيقة أساسية أقف على مضمونها، تكون هي بداية لطرف الخيط الاولي، حتى وإن كانت ضعيفة الصلة بالموضوع، لأتمكن من خلالها البدء بالتحقيق مباشرة، ومن غير الحاجة لإضاعة المزيد من الوقت الثمين، ولكنني انصدمت بعد الوقوف على الموضوع جدِّياً من عدة زوايا منطقية، بجدار شحة الأدلة الملموسة، حتى كادت الأفكار التي أستطيع توظيفها أن تنضب حينها، بعد أن أثبتت قطعاً عدم كفاءتها وفاعليتها، وعلى ضوء هذا الإشكال المحموم، التفتُّ صوب حسام سائلاً إياه، وعلامات مبهمة تلتف حول رأسي وقلت:

وأنت أيضاً كيف ترى الموضوع من وجهة نظرك..؟!

بالنسبة لماذا..!! "رد حسام ببلاهة صاعقة"

هتفت عليه منكراً موقفة باندهاش ساحق وقلت:

بالنسبة للحادثة طبعاً.. ما الذي تعتقدني أسئلك بشأنه، صحيح أنني واثق بدرجة عالية، من أنها ليست حادثة انتحار بالنسبة لي كرأي شخصي، وذلك تماماً عكس ما يظنه الجميع، وبالإضافة إلى وجود احتمال مُرجح بقدر كافي، بأن تكون الحيثيات التي تكتنف الحادثة أكثر من ذلك بكثير، وتوصل إلى حقيقة وقوع جريمة قتل مثلاً، مع العلم بأن هذا الاحتمال الأخير غير مستبعدٍ في قضيتنا حتى الآن، كما هو واضح وفق المعطيات البسيطة التي تحصلنا عليها مؤخراً، ولكن كل هذه الافتراضات المطروحة، لا أستطيع الاستفادة منها حالياً بأي شكل من الأشكال، لأنها بصراحة لا تعطي شيئاً ولا معنى من وجودها، من غير الاستناد إلى الأدلة القاطعة والملموسة، التي أستطيع من خلالها معرفة الطبيعة الرئيسة لنشوء هذه الحادثة الغامضة، ومن ثم معرفة الخطوات التي تمت بها، حتى يتسنى لي في الأخير إدراك الأركان المستوفاة للقضية، لذلك يصعُب عليّ البدء بعملية التحقيق حالياً، لتبقي الكثير من المعطيات المهمة، التي لست متأكداً من صحتها، مجهولة حتى هذه اللحظة..

"صمت قليلاً ثم أكملت" أفهمت الآن ما اقصد..؟!

رد حسام ببساطة على كلامي قائلاً: لا تقلق.. أنا واثق من أنك ستجد حلّاً ما..

"ماذا..؟!" هتفت عالياً متأثراً بإنفعال أكبر، بعد أن استفزتني إجابته المجردة من المنطق، ثم أكملت قائلاً:

كيف تقول مثل هذا الكلام الغير مبالي، ونحن لم نبدأ بعملنا بعدُ حتى الآن..؟!

لأنني أعرفك جيداً، إذ تكرر الأمر أمامي أكثر من مرة في السابق، فعندما تقترب من التوصل إلى نتيجة ما مبهرة، تبدأ تلقائياً بالشك في كل ما هو مثير للشبهة، حتى الأفكار التي تعتمد عليها بنفسك، تُنكرها وتُناصبها العداء، وهذا بالمناسبة مثلما حصل معك بالضبط اخر مرة، في قضية جزيرة الموج الهادئ..

غمغمت لحظتها ببضع كلمات لكتها بلساني على حُنق، ثم رددت ممتعضاً:

نعم نعم، العقل المتشكك هو العقل اليقظ، ولكن أولاً وقبل كل شيء، أنا لا علم لي بالغيب إطلاقاً مثلما تعتقد أنت، ثم إن الذي حصل في قضية الجزيرة المهجورة، هو توقعي المُبكر لا أكثر، بتكرار جريمة القتل لاحقاً أكثر من مرة، في ظل الظروف التي كانت ملابساتها سائدة حينئذٍ، وأن القاتل سيضرب ضربته في الخفاء، قبل وقت طويل من اكتشافنا لأهدافه ودوافعه الحقيقية، ولكنني لم أضع في الحِسبان حتى شارفت النهاية، بأن تمتلك قضيتنا تلك هذا القدر من الأهمية، تبعاً لحقيقة هوية مرتكبيها ودوافعهم الخاصة، لذلك الأجدر بنا الآن قبل كل شيء، هو عدم التطرق لتفاصيل حساسة، الواجب علينا كتمانها قدر الإمكان، تماماً كما أتفقنا كلنا جميعاً في السابق، ثم أضف إلى كلامي بأننا أشخاصٌ غرباء هُنا، وقد نكون غير مرحَّبٍ بهم في هذا المكان، وهذا ما يقلقني حالياً، لأن هذا الأمر سيشكل عائقاً كبيراً بالنسبة لي، في استكمال عملية البحث وجمع المعطيات الاولية، فهل تعرف من أين نبدأ بتحسس بعض الأخبار المفيدة..؟!

رد حسام بنبرة واثقة وقال:

لا تقلق.. (أنت تعال معي بس)، أعتقد بأنني رأيت أحد معاريفي من سكان المنطقة، وهو سيخبرنا بكل ما نحتاج..

جيد جداً.. ولكن هل أنت واثقٌ قبل كلي شيءٍ من إمكانية معاريفك، على توفير ما نطمح الحصول عليه..!؟

بالطبع.. "أكد حسامٌ أقواله باعتداد جازم" فشخص مثله لا يغيب عنه الكثير من أخبار المنطقة..

مرت بِضعُ دقائق قضيناها مشياً نحو هدفنا الجديد، وها نحن نقف أخيراً أمام بوابة لمحلٍ كبير، نفذت الأنوار الساطعة من بوابته وجدرانه الزجاجة إلى الخارج بالق، وأمتلك لوحة ضوئية كبيرة جديدة عليها صور والوان مبهرجة، كتب عليها بخط جميل (سيتي نت)، ومن خلف الزجاج بدت هيئة الديكور الجديد بتجهيزاته وأدواته، تنمُ عن قدر عالي من الاهتمام والحداثة، فكان الأمر عاديا جداً، بالنسبة لإحدى المحلات الراقية التي تزاول نفس النشاط، ولكن ما شد انتباهي أكثر في غرابة المنظر، هو مصابيح اللوحة الجديدة التي كانت وقتها مطفأة كليّاً، من استطعت تمييز تفاصيلها - فقط في تلك الحالة - عبر انعكاس مصابيح الشارع المتعددة، على عكس داخل المحل الذي أشعت أنواره المبهرة حتى الخارج، المحل الذي أدركتُ تواجده مباشرة لبالغ الصدفة في أخر لحظة، أسفل العمارة المجاورة لخاصة الضحية..

بعد الوقفة القصيرة أمام بوابه المحل، شرعنا بالدخول لنبدأ في تقصي الأمر، ونلتقي بدليل حسام العليم المزعوم. توجه حسامٌ مباشرة صوب العامل الذي يجلس على كرسي المحاسب، وأستهله قائلاً:

السلام عليكم..

رد عليه العامل رافعاً رأسه بتثاقل وكسل:

وعليكم السلام والرحمة..

أين قُصيّ..؟؟ إني لا أراه..!! هل داوم اليوم للعمل بالمحل..؟؟

قُصي.. قُصي مشغول قليلاً، أنتظره هنا، سيأتي بعد قليل..

أنتظر كلانا بهدوءً وإمتثال، وأخذت أجول ببصري في أرجاء المحل، جراء السكينة والفراغ الكبير الذي حل عليه على عكس طبيعته، حتى أقبل قُصي الذي كان شاباً في نهاية العشرينيات من عُمره، متوسط الطول عريض المنكبين. لمحت على محياه بمجرد رؤيته مسحةً من حزن وضياعٍ، أجتاح بشدة وجهه الصغير المحمر سلفاً، فسأله حسامٌ فور رؤيته مستغرباً حاله تلك وقال:

خير يا قصى..!! مالي أراك مهموماً..؟؟

نظر قُصي لبرهةٍ بشرود لوجه لحسام متفاجئاً من وجوده، غارقاً في همه ورازحاً تحت ضغط الموقف، ثم ما لبث أن رد مهتاجاً بصعوبةٍ والم بالغ، وقد اغرورقت كلتا عينيه بالدموع، وتضرج وجهه بالحمرة القانية أكثر عن ذي قبل، في محاولتهِ لنطق الكلمات التي تحشرجت في فمه، قائلاً:

عم.. عمار.. عمار..

عمار..!! ما به..؟! "هتف حسام مبهوتاً ومنفعلاً باستغراب"

لقد.. مات..

صدم الخبر الفاجع حسام ونزل على جسده كالصاعقة، فشحب وجهه شحوباً شديداً وامتعقت ملامحه بقسوة، مما اضطرني إلى جذب كرسيٍ مجاور ليجلس عليه، حينما رأيت أبن عمتي قد أخذ في فقدان توازنه، يترنح من هول ما سمع، فأردفت وقتها لقُصي - مدركاً حينها ارتباط رده بقضيتنا - محاولاً الاستفهام أكثر عن الموضوع، وقلت له:

ما الذي حدث بالضبط..؟؟ هل يمكنك اخباري رجاءً..؟!

رد قُصي بذهولٍ هز رأسه قائلاً:

أنا.. أنا لا أعرف شيئاً..

أرجو منك يا قُصي أن تخبرني بالذي تعرفه بالضبط، حتى أتمكن من مساعدتكم..

نظر قُصي إلى حسام في حيرة متعجباً من كلامي له، وقال مستغرباً في حيرة:

ما.. ماذا..!!

حرك حسام رأسه ببطء وأجابه قائلاً:

هذا أبن خالي أحمد، أطلب منك إخباره بما حدث بالتفصيل، حتى يتسنى له مساعدتنا.

تلعثم قُصي بنطقه ثم قال منفعلاً:

يساعدنا..!! كيف ذاك..؟؟

ثق به.. إنه ضليع بمثل هذه الأمور، وسيجد حلاً ما إن شاء الله.

جلس قُصي على كرسيٍ هو الأخر من شدة وهنه، يلتقط أنفاسه الضعيفة، وتنهد منكسراً بالم عميق، ليبقى صامتاً بعد ذلك لثواني، سارحاً بعقله في غياهب المجهول، مشيحاً بنظره مدى البعد، بعينين حمراوين ذابلتين أعياهما الحزن والبكاء المرير، ثم ما لبت أن فك وثاق كلماته، بعد أن جمّع بعضاً من شتات نفسه، وقال مهزوزاً التعبير:

كيف لهذا الأمر أن يحدث، أنا لا يمكنني التصديق مطلقاً بأنه قد مات، أنا لا أدري ماذا أقول لك، ولا أدري إن كان ما سأقوله سيفديك في شيء، فأنا لم أكُن متواجداً في الخارج ساعة وقوع ذلك الحادث الرهيب..

رددت عليه مطمئناً إياه بتؤدة قائلاً:

فلتهوّن عليك قليلاً ولتحملنا العبء بدلاً عنك، فأي شيء ستخبرنا إياه، سيكون ذا فائدة كبيرة في الوقت الراهن، فلا تُقلل من شأن أي معلومة قد تخطر على بالك حالياً.

صمت قُصي محاولاً تدارك انفعاله لبرهة، ثم قال:

حسناً كما تريد، في الواقع، لقد قدِمتُ إلى هُنا كعادتي اليومية، في الساعة السابعة والنصف مساءً، استعداداً لنوبتي الليلية التي تبدأ في الساعة الثامنة. شرعت مباشرة بتفقد أعمال موظف الحسابات الذي كان مسؤولاً قبلي، بعد سماحي له بالذهاب ليتناول وجبة العشاء، وبقيت في مكانه منهمكاً في عملي، فإذا بي بعد دقائق معدودةٍ، أرى المارين بالشارع يهرعون مسرعين باندفاع

مُقلق، صوب دكان أبو سالم المُجاور لمحلنا، ثم ما لبث أن تبعهم رواد المحل فضولاً، إثر ملاحظتهم التوتر الصاخب الذي يحدث في الشارع. خرج الجميع واحداً تلو الآخر ليتبينوا سبب كل تلك الجلبة، أما أنا فآثرت البقاء في مكاني، إذ كنت مسؤولاً عن المحل، بالإضافة إلى أن المحل وقتها، كان قد أخُلي كُلياً عن آخره، ولكن فجأة.. وعلى غير المُتوقع.. إذا برشاد الحلاق يقتحم المحل دافعاً بابه بقوة، حتى كاد أن يخلعه، يصرخ عالياً بفزع وهستيرية وهو يقول:

صاحِبُك.. صاحِبُك مات.. وقع من شرفته..

أكمل قُصي متمتماً كلامه بحسرة عند هذه النقطة، بمجرد أن بدأت قسمات وجهه بالذبول، وهو يقول منهاراً:

ثُم.. ثُم..

صمت قُصي بعدها مشيحاً بوجهه يجهش بالبُكاء رافضاً التصديق، وقد أرتجف فكه بشدةٍ وأحجم عن الكلام، حتى كاد البُكاء أن يخنقه مرة أخرى، فاستلهيته برفق وقتها وقلت له:

ثم ماذا..؟!

التفت إليّ مكملاً كلامه بعينين غارقتين بالدموع، ووجهً يكتظ بالألم المُبرح، بادياً غير مُصدق لما يقوله لي، وقال:

اندفعت مصعوقاً مباشرةً لأرى ما حدث، فإذا بي أرى بعمارٍ ملقىً على الأرض بصورة مفزعة رهيبة هامداً لا يتحرك، ودمٌ غزيرٌ ينزف من رأسه.. "ثم

حنى برأسه للأسفل في هروبٍ من الألم الطاغي وأكمل قائلاً" أما البقية، فيعرفها الجميع ممن كان موجوداً في الجوار ساعة الحادث.

بمجرد أن أنتهى قُصي من سرده الأليم للواقعة، حتى شهق شهقة طويلة، ودفن وجهه بين يديه لينتحب ويتهدج بشدةٍ، في صورة استعجبت بها رؤية أحداً بعمره مفجوعاً إلى هذه الدرجة، وكأنما ما مر به حتى الآن لم يكن كافياً بعد، إنها الفاجعة حق اليقين..

عصف بصدري حزنٌ بالغ وقتها، لعدم استطاعتي منع وقوع هذا الحادث المؤسف، وأنّى لي ذلك الآن، لكن ما استطعت فهمه واستيعابه من كلام قُصي، وما بدا على ملامح وجهه من الأثار ذهولاً بالفاجعة، هو أن عماراً ليس من الأشخاص الذين بالإمكان التصديق بأنهم، قد يُزهقون أرواحهم وتحت أي ظُروف كانت، وبالإضافة إلى كونه شخصاً طموحاً ومكدّاً في عمله، فكما بلغني من قبلُ، أنه بدأ مشواره في العمل منذ أمد بعيد، كعامل في محل اتصالات بسيط بشارع خلفي مُقفر، وذلك لظروف خاصة ألمَّت بحياته، وضيق ذات اليد المستفحلة، وما حثه أكثر على الالتزام والاستمرار في العمل، خطيبته التي كانت زميلةً له في دراستِه الجامعية، وهذا ما جعله بالنسبة للكثيرين ممن عرفوه رمزاً للصبر والكفاح، حيث تقرر حينئذٍ من طرفي أنا شخصياً ودون أي تراجع، أن أكون جزءاً من هذا التحقيق، وأواصل العمل على القضية حتى انتهائها..

واسيت قُصي مطمئناً إياه وقلت:

لا تجزع ولا تقنط قط، ولا تفقد إيمانك، وإني لأعدك حقّاً، أن أبذل كل جهودي وأسخرها قدر المستطاع، في سبيل الكشف لك وللجميع، عن الحقيقة الكاملة لموت صديقك عمار، لذلك فلتهون عليك ولتطمئن ولترح قلبك وروحك، فما حصل في الأخير قدر من الله سبحانه وتعالى.

هدَّأ قُصي وقتها قليلاً واطمأنَّت سرائِرُهُ، فخفف عنّي ذلك الانفعال بالموقف الحالي. هممنا بعدها مباشرة بالخروج، لمتابعة أي خيط آخر قد يفيدنا في القضية، يكون معيناً في بدايتنا للتحقيق، لكن أثناء ذلك وعلى حين غرّة من المشهد، إذا بالباب يُفتح من الخارج فجأةً ومن غير سابق إنذارٍ وسط اندهاش الجميع، ليطل منه شخصٌ ذا وجهٍ مألوفٍ، خاطبني أنا شخصياً من بين الجميع قائلاً:

أنت هُنا إذن.. هذا مبشرٌ بالخير، لأنني لا أعرف إذا ما كانت الصُدف هي من وضعتك في طريقي أو أنه قدر محتوم، ولكن على العموم هذه فرصةٌ لا تعوض، فهيا معي لترافقني ولتلقي نظرةً عن قُرب، لأنني واثقٌ من أنك ستكون ذا عوناً كبيراً لنا، في تجاوز هذا العائق المُحير الذي اصطدمنا به..

الفصل الرابع

لم أنتظر كثيراً لأبدأ عملي بالتحقيق في القضية، إذ وفقني المولى - سبحانه وتعالى - بأن ينظم لصفي حليف قيم، أعطاني الصلاحية الكاملة للعمل بطريقتي الخاصة، ووفر لي أكبر قدر ممكن من المعلومات والملاحظات والأدلةِ، التي سبق وعُثر عليها من قِبل القائمين على التحقيق واختصاصي الطب الجنائي، حيث إن المسؤول عن التحقيق في هذه القضية، هو الضابط عبدالكريم، أحد رجال البوليس الذين سبق والتقينا بهم في قضية موت (الحاج شكري)، والذي كان رجلاً في اواخر العقد الخامس من عُمره، متوسط القامة ممتلئ الجسد سمين الرأس، قد رسمت تجارب الحياة تفاصيلها على قسمات وجهه العريض، وأسفل عينيه الثابتتين النظرات الغائرتين في محجريهما، ذا أنف صغير مُكتنز مُحمر وشارب غزير كث. تعاون معنا الضابط عبدالكريم إلى أقصى حدٍّ ممكن، ووفر لنا كل ما نحتاجه، بحكم معرفتهِ المُسبقةِ بمقدرتي على التحليل وإتباعي لأسلوبّ خاص، في اكتشاف الأدلة والتوصل لنتائج مرضية.

قمت معه بمراجعة سريعة، لمستوى التقدم الذي وصل إليه التحقيق حتى الآن، بالإضافة إلى الأدلة التي سبق اكتشافها، من لها صله بالقضية، سواءً كانت طرفية أو دامغة، فقد وُجد الضحية - حسب التقرير الجنائي - وهو شاب في السابعة والعشرين من عُمره، مُلقى على رصيف الشارع، أمام بوابة المبنى الذي يُقيم فيه، مفارقاً الحياة بعد وقت وجيز من مشاهدته - حسب

إفادة الشهود - وهو يقع من شرفة شقته العالية، والتي تقع في الدور الخامس لإحدى العمارات المطلة مباشرة، على الشارع الرئيسي في منطقة المعُلا، فأدى سقوطه من ارتفاع شاهق إلى إصابته بأضرارٍ بالغةٍ لحقت بجسده، حسب التقرير الأولي المُقدم من مختص الطب الجنائي، مما أسفر عن ذلك إصابته بالكثير من الكسور المتباينة بالدرجة في مواضع مختلفة، وتلفاً جسيماً في الأنسجة الداخلية خاصة منطقة الرأس، الذي نال جُل الأذى جراء الصدمة العنيفة التي مُني بها، وذلك ما أدى بدوره إلى حدوث نزيفٍ حادٍ في منطقة الصدغ الأيمن، وقصور شديد في عمل كثير من أعضاء الجسد الحيوية، كان المُتمم الأخير لفقدانه حياته في غضون دقائق معدودة، ولكن الذي جعل القضية ذات مستوىً عالٍ من الحساسية هذه المرة، حسبما فهمته من الضابط عبدالكريم، هي الظروف الغامضة التي اكتنفت تفاصيل أحداثها، والتي لم يُكشف كامل الغطاء عنها حتى الوقت الراهن، حيث قادت أغلبُ الاستنتاجات الأولية التي تم التوصل إليها من قِبل رجال البوليس، إلى أن الشاب قد أقدم على رمي نفسه من على شرفة شقته، التي تقع في الطابق الأخير لإحدى العمارات العالية، وذلك لأسبابٍ مجهولةٍ لم يستطع أحد التوصل إليها حتى الآن، وهذا ما أكدهُ فريق التحقيق الميداني ساعة وصوله إلى الموقع، كنتيجة أولية للتحقيق في أسباب الوفاة، بعد الكشف المباشر على الجثة، وقيامه بالإجراءات الطبية الاولية اللازمة، وعدم عثورهم وقتها على أي أثر من آثار الإصابات أو الدلائل، التي من شأنها الإشارة لنشوب صراع من نوع ما، نافيةً بذلك كنتيجة حتمية احتمالية تعرُّض الضحية لسقوط متعمّد، من قِبلِ شخص أخر بعد صراع عنيف، خاصة بعد تأكدهم من وجوده وحيداً

طوال الوقت في شقته المؤصدة من الداخل، منهمكاً بعملية الترميم والتصليحات، بيد أن ما كان جديراً بالذكر منذ بداية التحقيق، هو إجماع أقوال الشهود الذين كانت لهم معرفة شخصية أو صلة بالضحية، على النفي القاطع لاحتمال الإجرام في حق النفس، كونهم أعرضوا جميعاً منذُ بداية أخذِ الأقوال، عن تصديق حدوث أمرٍ مشابه لذلك، وقد جزم مجملهم أيضاً في رأي موحد، على أن تلك الواقعة التي حدث، لم تكن مطلقاً شيئاً متوقعاً حصوله، لشخص ذو سُمعةٍ طيبةٍ ووضعٍ مادي جيد، خاصة بعد وصوله إلى هذا المستوى من يُسر الحال والأملاك، باذلاً العناء والجهد الكبير في سبيل الحصول عليها، والأهم من كل ذلك، اقتراب موعد زفافه المنتظر، الذي دأب على الاستعداد له منذ فترة طويلة، مما أكد لي قطعاً وبعد اطلاعي شخصياً على بعضٍ من أقوال الشهود، انتفاءً نهائياً لفرضية الانتحار، فرسخ لي هذا الافتراض في آخر المطاف، حقيقة عرضية وقوع الحادثة وفق ما خلصت إليه حتى الآن، وأن ما حدث لم يكن مقصوداً من جانب الضحية نفسه، وذلك لارتفاع احتمالية وقوع حوادث مشابهة لخاصتنا تتكرر بين الفينة والأخرى، خاصة لأصحاب الشرفات القديمة والمتهالكة منهم، ولكن ولسبب غير مقنع كدّر خاطري، أحسست بذاك الشعور الغريب يداهمني بشدة، والذي لطالما وجد طريقه الخاص ليتسلل إلى داخل صدري، في مثل هكذا أحداث مبهمة التركيب، إذ كانت ملابسات القضية منذ البداية وعلى عكس عادتها، بسيطة جداً ومحكمة بطريقة مثيرة للريبة، بعيدة كل البعُد عن أي تكلف أو شبهات، تؤدي إلى زعزعة الصورة التي تجلت عليها للجميع منذ أول وهلة، فكان المشهد التخيلي الذي تراءى بالنسبة لي في تلك الساعة، أشبه بدخان بنفسجي ثقيل

خفي للغير، طغى على الأرضية التي وقف عليها الجميع - مخفياً كل الحقائق - وغاب عن ملاحظتهم، وغطاهم حتى منتصف السيقان، مستقراً لفترة من الزمن في مكانه، دون أدنى حركة يتذبذب مموهاً صورته الأصلية، ليتمكن بعد أن تهدأ الأمور ويصرف الجميع انتباههم، وفق منظورٍ مُعدٍ سلفاً، من الانسلال بالحقيقة بعيداً من بين أقدامهم بكل سهولة ويسر، حيث اعتبرته وكرأي شخصي بي، واقعاً قد فُرض على الجميع وبغير إدراك، صرفوا النظر عن أسباب نشوئه رغماً عنهم، وليس ذلك إلا لأنهم، التفتوا طوال الوقت نحو اتجاه خاطئ، ليقبلوه بالأخير أمراً مُسلَّماً به، حينها لم يتبقَّ لي في الأخير، سوى إعادة النظر فيما تم التوصل إليه حتى الآن، وإعادة التدقيق في تفاصيل القضية التي أعمل عليها، وفق طريقتي الخاصة، عليّ بذلك أربح خاطري بمجرد حصولي على نفس النتائج، وعندها أقفل القضية نهائياً..

توجهت فور إنتهائي من مراجعة الأدلة الأولية مع الضابط عبدالكريم، إلى موقع دكان أبو سالم، الذي كانت الأرضية المقابلة لبابه، ساحةً للحادث بعد وقوع الضحية عليها، وبعد فروغي من سؤاله بعضاً من الأسئلة المتفرقة، ومنها عن التوقيت الدقيق لوقوع الحادث، تبين لي أنها قد وقعت ما بين الساعة السابعةِ والنصف والثامنةِ مساءً، أي بوجود ثلاثين دقيقة غير متأكد من صحتها، وهو الوقت الذي واضب فيه الضحية يومياً بالمناسبة، إنزال سلَّتهِ الخاصة والمربوطة بحبل طويل، من على شرفة شقته إلى الدور الأرضي، الذي يقبع فيها دكان أبو سالم، ليرفعها الضحية بنفسه بعد قيام صاحب الدكان، بملئها بما يحتاج من الأطعمة والمستلزمات اليومية، وعندما سألته عن سبب عدم نزول الضحية بنفسه لأخذ ما يحتاج، أجابني بأن هذا الحال هو دأب

الكثير من سكان عمارات الشارع الرئيسي، من يسكنون الطوابق العليا، بالإضافة لبقاء الضحية منهمكاً وحده طوال الوقت، بأعمال الترميم والإصلاح للشقة التي أشتراها مؤخراً، مع عدم رغبتهِ التامةِ بالاعتماد على أحد، وعند انتقالي إلى سؤال من تبقى من شهود، ممن كان في الشارع أو بالقُرب من الموقع وقت وقوع الحادث، لم أظفر بالكثير، فيا للأسف، فلقد تطابقت إفادات الجميع، ولم أجد ما لديهم من أقوال يختلف كثيراً عن روايات بعضهم البعض، فأخذ منّي البحث والتقُصي والتنقل بين المواقع المختلفة على هذه الشاكلة وقتاً طويلاً، حتى شارفت عقارب الساعة على الوقوف على رأس منتصف الليل..

مشيت عائداً - بتؤدة - بعد فروغي من جولتي الطويلة، قادماً من الجهة المقابلة لعمارة الضحية، أتلفح سكون الشارع في تلك الساعة، تحت سقف السماء الغائمة ووسط الرياح الخفيفة الناعسة، أتحرس مكامن تجمع مياه الأمطار والتف حولها، لتميل إلى قلبي ساعتها، وفي ظل هذا الجو الذي غرق بالسكينة والسلام، فكرة الرجوع لبيتي حتى أغط في نوم عميق، ثأراً من مشاغل اليوم، ولكن تبقيت لي مسائل معلقة ذا أهمية وجب عليّ قضائها قبل كل شيء. توجهت إلى مكان تواجد الضابط عبدالكريم، لأخطره بآخر نتائج أبحاثي التي توصَّلت إليها، حتى أقارنها مرة أخرى بما عنده، وبمجرد فروغي، يممت شطر محل الإنترنت، لأعُلم قُصي وأحاول إقناعه قدر الممكن بالقضاء والقدر، عله بذلك يرضى بما حصل، لتهدأ نفسه أخيراً ولتستقر سرائره.

فور وصلت إلى بوابة المحل، تصادف دخولي مع خروج رجل عجوز، كان موجوداً مع قُصي والعامل، سلّم عليهم ثم غادر مسرعاً في شأنه. وجدت قُصي حينها تماماً مثلما تركته أخر مرة، مهموماً محزوناً، فقلت له على حرجٍ محاولاً شرح الموقف:

والله يا أخ قُصي أرجو المعذرة، لكنني لم أجد ما يغير في حقيقة ما حصل، فكما يبدو أن الأمر كان حادثاً عرضياً لا غير، وأن عمّاراً قد رحل إلى جوار ربه، بعد أن حانت ساعته..

أكتفى قُصي بتحريك رأسه لا مبالياً ببطء، ينظر إليّ ساهماً خلال جفنيه المتورمتين، ليرد عليّ قائلاً بتؤدة:

لا عليك.. لقد قمت بالواجب.. هذا اكثر مما أتمنى الحصول عليه.. على الأقل أصبح الآن في مكان أفضل..

تعجبت لحال قُصي الذي تبدل على غير المتوقع، بعد استطاعته تمالك نفسه بهذه السرعة، برغم كل ما مر به، أو أنه لربما رضي بما حصل، في سلوك كان أقرب لليأس منه لليقين، بيد أنني آثرت الدافع الحسن وقتها عن غيره، لما رأيته من إنبساطٍ في ملامح وجهه، وقلتُ مطرياً على كلامه:

لقد أحسنت قولاً بإجابتك هذه، وفاجأتني على غير المتوقع، إذ أنه وبوجود أشخاصٍ بحجم إيمانك، ذلك يجعلني أستبشر خيراً في الدنيا وما فيها.

أسعد كلامي قُصي بعض الشيء كما لاح لي عياناً، فقد ارتسمت حول عينيه علامات لابتسامة هادئة وديعة، ورد على كلامي قائلاً:

حسناً.. الآن فقط أستطيع مواصلة عملي بهدوءٍ، على الأقل حتى يأتي ساهر..

صمت قُصي بعدها منهمكاً في شأن أخر، فقد بدى أن فكرةً مغايرةً قد شغلته في عقله، وأنسته همومة للوقت الحالي، فاستغليت هذه الفرصة، ووجهت له سؤالاً من باب الفضول، وقلت له مستفهماً:

قل لي لو سمحت، مَن ذلك الرجل العجوز الذي خرج قبل قليل من عندكم، هل هو يا ترى أحد أقرباء صاحبنا عمار..؟؟

التفت إليّ قُصي منتبهاً وكأنني بعد أن قطعت عليه حبل أفكاره، ورد في استغراب:

من..؟؟ تقصد الأستاذ فضل..!! لا.. "وهز رأسه نافياً" إنه جار عمَّار، وهو يقيم في الشقة المجاورة له مباشرة "ثم ترك ما كان بيده وحول انتباهه لي" لقد أتى ليعزيني، ويخبرني بأن التيار الكهربائي، مقطوعٌ عن شقته منذ خمس ساعات تقريباً..

غريب أمر هذا الرجل "تأملتها في نفسي متعجباً" ثم قلت لقُصي:

لماذا إذن أنتظر كل هذا الوقت، ولم يقم بإصلاح العُطل بنفسه..؟!

أنا لا أعلم بالضبط ما باله، لكنه ربما أعتقد أنه انقطاع عام، لذلك لم يكترث كثيراً لوجود التيار البديل، برغم أن وقت الانقطاع العام لم يكن في تلك الساعة..

إذن ما مشكلته بالضبط..؟!"قلتها في عدم استيعاب وحيرة مفرطة، فور اعتقادي وقتها بأن الجار العجوز، من الأشخاص الذين يحبون الاعتماد على الاخرين في قضاء حاجاتهم، حتى جاء رد قُصي المزلزل حينما قال"

كِلاَ الشُقتين مرتبطتين بمحوّل كهربائي واحد، مُعلق على جدار بينهما، فعندما تُغلق دارة المُحول الداخلية، ينقطع التيار عن شقة الأستاذ فضل، كما يحصل المِثلُ في شقة عمار..

تفاعل العامل بدوره قائلاً، وفسر الأمر بطريقته:

يبدو أن المحول قد أصابهُ عُطل ما، إثر انهمار كل هذا المطر بالأمس، الذي لربما يكون قد تسرب لداخله، بعد أن تشربَ من سقف العمارة.

أضاف قُصي لكلام العامل وقال:

لقد قُطعت دارة المحول الداخلية، برغم أنه جديد..!!

بمجرد أن نطق قُصي بهذه الكلمات، حتى هتفت بذهولٍ في وجهه، جراء التماع فكرة خطيرة طرأت على عقلي، من صُغت لها مباشرة في ذهني افتراضاً أولياً، وقلت بحماسة:

متى كان بالضبط، توقيت انقطاع التيار الكهربائي، في شقة الأستاذ فضل..؟؟

في تمام الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة، حسبما قال الأستاذ فضل، إذ أنه أكد لي ذلك لموافقة وقت الانقطاع، لاستراحة مباراة كرة قدم كان متابعاً لها، لكن لماذا تسأل هذا السؤال بالضبط..!؟

وقت سماعي لتوقيت الانقطاع الكهربائي لم أنتظر كثيراً، إذ انتفضت مسرعاً تاركاً كُلاً من قُصي والعامل، ودوامة كبيرة من التساؤلات تلف حول رؤوسهم المستغربة بعجب، أبحث عن الضابط عبدالكريم، حتى أشرح له ما خطر على بالي، بعد سماعي لهذا التفصيل المريب. أسرعنا بعدها مباشرة، بمجرد أن أستوعب الموقف الحرج، صاعدين الدرج متخبطين في الظلمة نحو شقة الضحية، حتى إذا ما وقفنا بمحاذات بابها، تفاجأت بوجوده مغلقاً أمامنا، وسط ظلام كثيف لف تلك البقعة من الدرج، وعلى ضوء هذه الإشكالية الجديدة الغير متوقعة، وجهت سؤالاً مباشراً للضابط عبدالكريم وقلت له:

لماذا الباب مغلق..؟!

رد عليّ الضابط موضحاً وقال:

لم نقم بفتح الباب حتى الآن، لأننا أكتفينا بالتحقيق في ساحة الحادث مع الشهود، بعد فروغنا من أمر الضحية، فتركنا الشقة على حالها هكذا، إلى حين وصول أحد الأقارب، حتى نشرع حينها بفتحها بمعيتهم وبطريقتنا الخاصة، وذلك لعدم تواجد أي نسخة احتياطية متوافرة حالياً لمفتاح الشقة، إذ أنها لم توجد قط حسبما اكتشفناه أثناء التحقيق، لذلك رأينا أن لا حاجة لنا من الاستعجال وكسر الباب عِنوة، كنوعٍ من الاحترام للميت..

تقصد بكلامك هذا، أنكم عندما وصلتم، وجدتم الباب هكذا مؤصداً، ولم يقُم أي أحد بفتحه إطلاقاً للدخول أو الخروج، قبل مجِيئكم أو بعد..!!

نعم كما قُلت تماماً، فنسخةُ المفتاحِ الوحيدةُ، موجودةٌ داخل هذه الشقة المؤصدة، حسب اعتقادنا الجازم، لأننا لم نجدها وقت ما أحصينا الأدلة، التي كانت مع الضحية في موقع الحادث..

لم أنتظر كثيراً لأستوعب الموقف الصادم، الذي ما لبث أن تجلى لي أخيراً على غير المُتوقع، فبعد سماعي لكلام كُلّاً من قُصي والضابط عبدالكريم، تأكدت أخيراً من تلك الأحاسيس المُريبة التي خالجتني سابقاً، وبتُّ على يقينٍ من أن أيادٍ خفيةٍ تعبث بالقضية، وأن هذه الإشكالية المموهة التي تجلت صُدفةً بغير قصد، ما هي إلا طرف الخيط الأولي، الذي شككت بوجوده في السابق، فالتفتُّ حينها للضابط عبدالكريم، وقلت له وطرف ابتسامة خبيثة تبرز على نواجدي:

هل تدرك ما الذي نتعامل معه في هذا المكان، إن تأكدت صحة ظنوني تجاه القضية..؟؟

ردَّ الضابط بإيجاز قائلاً:

لا.. ما الذي تقصده بالضبط..؟!

حسناً سأقول لك ما الذي أقصده، لأنه إذا كانت ظنوني في محلها، تجاه القضية التي نعمل عليها حالياً، وثبت لاحقاً وجود النسخة الوحيدة من المفاتيح بداخل الشقة المغلقة، فأعلم من أننا نتعامل مع شخصٍ ذي ذكاءٍ غير اعتيادي

يتخطى الحدود المعروفة، بل إننا نتعامل مع عقلية إجرامية مُعقدة، أي أننا سنواجه قريباً مشتبهاً في جريمة قتل، والذي تراه الآن أمامك، هو أمرٌ خطيرٌ جدّاً..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل الخامس

بدأت مجريات القضية تأخذ منحنىً آخر متطوراً لسير أحداثها، مباشرةً بعد الإشكال الأخير الذي تجلى أمامنا فجأة، وكأنه أحد أعلام الغيب، إذ أخذت الأمور تظهر بصورة مغايرة كلياً، عما بدت عليه مُنذ بداية فتح ملف القضية، فالحقائق حتى وإن وجدت باهتة ضئيلة، تدل في مجملها وبعد فهمها من وجهة نظر أخرى خارجة عن السياق، على أمور جلية في قدرها، إذا ما أحسنا توظيفها بما يتناسب مع احتياجاتنا الخاصة، وأجدنا تفسير مدخلاتها بالموضوع، إذ كان هذا التطور بالذات، هو طرف الخيط الأولي الذي أمسكه، واستدليت به للاستمرار في تحقيقاتي، فقد وجد وعلى غير المألوف سابقاً، تسلسل غامض محير جديد، لتتابع سير وقوع الأحداث، وفق المُعطيات التي انكشفت لي مؤخراً، ينبأ بسيناريو لم أكن أعلم بوجوده من قبلُ، ولا علم لي بعدُ لما قد يفضي إليه لاحقاً، فالانقطاع المفاجئ للتيار الكهربائي، الذي حدث في وقت واحد في كِلاَ الشقتين، في الفترة التي كانت الضحية مستسلمة فيه، بلفظ أنفاسها الأخيرة على رصيف الشارع، دليل على وجود خطب ما أصاب تمديدات الطاقة، وهذا أمر نادر الوقوع إلا في حالة وجود فعلٍ مقصود، وما هو جدير بالذكر أيضاً، وجود اشتراك بالتمديدات عند نقطة محددة، لكلى شقتي الضحية والجيران، فمن غير المعقول أن يقوم الضحية مثلاً، وفي ظل هذه الظروف الحرجة والمصيرية، بتخريب التمديدات وقطعها، بل وإقدامِهِ على ذلك أيضاً، قبل دقائق معدودة فقط من إقبالهِ على الانتحار، وتحت أي سببٍ كان من شأنهِ، إلحاق الضرر به وبالآخرين، ليمسي هذا كله غير ذي فائدة

بعد مماته، بالإضافة إلى وجود فارق بسيط في التوقيت، كما اكتشفت مؤخراً، ما بين الانقطاع المفاجئ والكلي للتيار الكهربائي، ووقوع الضحية من على شرفتها، لا يزيد عن خمس دقائق، وهذا كله يضع جميع الجزئيات المتباينة في مجملها، على خط واحد متصل، من شأنه إثارة قدراً ليس باليسير من التساؤلات والريبة، حول الأسباب التي أدت إلى وقوع مُختلف تفاصيل تلك الحادثة، وفق هذه الشاكلة المُثيرة للتساؤلات، ولا ننسى أيضاً قبل كل شيءٍ، أننا نحقق منذ البداية في قضية مشوبة التفاصيل بامتياز، أُريد من خلال صورتها الأولية، أن تظهر للملأ على أنها ليست بأكثر من قضية انتحار عادية، قد تتضح لاحقاً على أنها جريمة قتل متعمدة، إذا ما وجدت وقتها أدلة أخرى كافية، تصبّ في نفس هذه المصلحة، ففي الفترة الحالية من الزمن، أحجمتُ عن طرح أي تساؤلات جديدة، قد تكون مستبقةً لأوانها، وذلك قبل وضع يدي على الموقع الأخر للحادث، بعد ارتباطه الوثيق - مؤخراً - بقضيتنا، بطريقة أو بأخرى، فالآن لدينا مسرح جريمةٍ مغلقٍ بإحكام، يحتاج إلى اقتحام ساحته المظلمة، ليكشف خفاياه الغامضة للجميع، وضحية لديها حكاية صامتة أكيدة محققة، تأبى شفتيها المطبقة للأبد الإفصاح عنها..

كانت الساعة حينئذٍ قد تعدت الثانية عشر مساءً، السماء شبه غائمة، والرياح الخفيفة تداعب بهباتها أعالي أشجار النخيل، من امتدت على طول الشارع الرئيسي، حاملة معها رائحة ندية وزخّات ضئيلة من قطرات مطر، أنعكس عليها اللون البرتقالي لأعمدة الإنارة، بعد تجمعها على الأسطح العاكسة كزجاج السيارات والمحلات، ومن على بعد مسافة بسيطة، تواردت في بعض الأحيان أصوات متقطعة، لبواخر مرت برصيف ميناء الشحن، موحياً بذلك

كله، على أن عجلة الحياة لا زالت مستمرة بالدوران، مهما وقع فيها من خطوب..

كنا قد توقفنا عن التحقيق لبعض الوقت، لحين وصول صانع الأقفال المعتمد، الذي أرسل الضابط عبدالكريم في طلبه، فكانت هذه الدقائق القليلة ثقيلة في الانقضاء تحبس الأنفاس، بعد ظهور التطور الأخير المُكتشف بغير قصد، وما إن وصل الصانع، حتى شرع بعمله الدقيق مباشرة، تحت الأضواء الساطعة لمصابيح اليد المتجمعة، من اخترقت الظُلمة الدامسة للدرج طوال الوقت، وأستمر بهذه العملية، حتى أنهى في الأخير مُهمته مُكللاً بالنجاح، ومن ثم أنصرف في شأنه..

فُتح باب الشقة أخيراً، وكانت النتيجة مطابقةً تماماً لما توقعتهُ من قبل، ظلام مطبق طغى في المكان، لا مصابيح مُنارة، ولا أضواء احتياطية، ولا حتى أثر لمصدر متوفر للطاقة، وقبل أن ندرك ما حصل، باغتتنا رائحة احتراق كاظم للأنفاس، انطلقت لتخنُقنا من داخل الشقة بمجرد فتحنا للباب، إذ بدا واضحاً أن مشكلة فنية جسيمة، قد أصابت العُلبة الرئيسة لكهرباء الشقة، وفصلت التيار عن جميع أجزائها، حينها استهليت الضابط عبدالكريم متفاجئاً بوجود الأثر الغير متوقع، وقلت:

يبدو أن أمراً جليّاً قد حدث هنا حقاً، ونحن لا علم لنا به حتى الآن، أتمنى الا نواجه صعوبةً في أثناء مواصلتنا للعمل..

رد الضابط بإيجاز: لا تقلق.. سأستدعي الفني الكهربائي ليصلح المشكلة..

لا عليك.. سأرى ما يمكنني فعله بمفردي.

ناديت على قُصي الذي كان أحد الموجودين أسفل درج العمارة، وقلت له:

أرجو أن تدلني على مكان القاطع الرئيسي، حتى أتفقد حالته..

رد قُصي مشيراً بيده وسط العُتمة، بعد صعوده إلى قُبالةِ بوابة الشقة قائلاً:

إنه هناك في نهاية الممر الذي على يمينك، بجانب باب المطبخ مباشرة.

انطلقت مجموعة من المحققين لتتفحص بقية الشقة، وتقدمت أنا بدوري بحرص لأتفحّص القاطع مستعيناً بضوء الهاتف المحمول، محاولاً تجنب الدوس أو إفساد أي أثرٍ، قد يكون دليلاً لنا لاحقاً، وما هي إلا فترة بسيطة مرت، حتى عدت للضابط، وقلت له في تعجُب:

لدينا مشكلة كبيرة..

ماذا تقصد بالمشكلة..؟؟

لقد تضررت عُلبةُ مفاتيح الكهرباء بشكل لا يُصدق، ويبدو هذا في ظني، هو السبب الأساسي في انقطاع التيار الكهربائي، عن كامل الشقة.

كيف لهذا الأمر أن يحدث إذن..؟!

يصعُبُ عليّ الجزمُ بالأسباب حالياً، ولكن يبدو بأنها قد تعرضت لجهد عالي، أو إغلاقٍ خاطئٍ، أعطب داراتها الداخلية.

عن أي جُهدٍ تتحدث والشقة لا زالت قيد الترميم، ولا تحتوي على الكثير من الأجهزة الكهربائية، ولا حتى على مكيف واحد للهواء..

تدخل أحد المعاونين، وعلل بافتراض معروف مسبقاً قائلاً:

يبدو أن السبب يعود للمطر الذي هطل البارحة..

هتف الضابط عبدالكريم بإنفعالٍ، مستغرباً الرابط الغير مستوعب:

المطر الذي هطل البارحة، وما دخله بالأمر...!!

حينها سمعنا صخباً وضجيجاً قادماً من الدرج أسفل العمارة، فانطلقنا لنتبين سببه، وإذا بشابٍ غريب طويل نحيل الجسد بطريقة عجيبة، ذي وجه مقيت مُغبرٍ، وملامح مشدودة ساخطة ساخرة، يحاول صعود الدرجات بعد افتعال مشادة كلامية، مع الحارس الذي وقف على باب العمارة، وما إن رآنا نازلين نحوه، حتى تكلم باستهجان مستهزئاً، وقال بطريقةٍ سوقية:

(إللاهه هيا اش معانا كلكم فوق)..

فاجأني أسلوب الشخص الغريب وطريقة حديثة الفجة، أما الضابط عبدالكريم، فقد رد عليه من فوق كتفه وبلهجة قوية حازمة، بعد أن ثبت نظره على الشاب دون تحريك قصمات وجهه، بملامح امتلأت بالصرامة والجدية الشديدة، قائلاً:

من أنت..؟؟ وما الذي جاء بك إلى هذا المكان..؟؟

رد الشاب بوقاحة أكثر مجزئاً النطق بكلماته، محركاً إحدى يديه بطريقة مستفزة، وواضعاً الأخرى على صدره قائلاً:

أنا. صاحب. محل. الإنترنت.. وأنتم من تكونون..؟؟

معك الضابط عبدالكريم من البوليس الجنائي..

غارت مقلتا عيني الشاب الجاحظتين في محجريهما، وجفل لحظتها وارتعدت فرائضه بوهن، وأحجم عن النُطق لبعض الوقت، متلفتاً في كل اتجاه يفتش عن مهرب، ثم قال في أخر المطاف متلعثماً:

أوو.. أرجو المعذرة يا (فندم) حقك عليّ، قلت أصعد عندكم (أشوف اش الي حصل فوق)، يمكن تحتاجون مساعدة أو خدمة منّي (كدا ولا كدا، أنا خدّامك يا فندم)..

صمت الجميع على إثر المشهد الساحق المُشبعِ بالتوتر، وبقي الوضع على هذا الحال المتحفز لعدة ثوانٍ، حتى إنني قد أحسست وقتها بغضب ومقت عارم، طغى على الضابط عبدالكريم تجاه الشاب الغريب، إلى أن أطلّ قُصي - منقذاً الموقف - من جانب باب الشقة أعلى الدرج، وقال مخاطباً الشاب:

هذا أنت يا ساهر، (فينك) كل هذا الوقت..؟! لقد أتصلت على هاتفك المحمول أكثر من مرة، ولكنه كان مغلقاً..

رد ساهر بتهرب ومغالطةً ملحوظة:

لا لا.. بالواقع فرغت البطارية وأنطفأ الهاتف، وكان معي (كم شغلة بالدباب حقي، بعدين ايش في كل هذا، وايش اللي حصل)..!!

عمار.. عمار مات يا ساهر، والبوليس جاء ليحقق في أمر موته..

قال الضابط عبدالكريم محدقاً في وجه ساهر بتركيز مُفترس وانتباه:

إذن أنت الشريك في المحل..!!

رد ساهر بوهن من طرف خفي وقال:

(ايوه يا فندم) أنا الشريك.. "ثم رفع يده ليحك ظهرها بقلق وتوتر.."

قاطع قُصي كلام ساهر مخاطباً الضابط عبدالكريم وقال:

ساهر مهندس كهربائي (يا فندم)، يستطيع إصلاح القاطع المُتضرر:

وجه الضابط عبدالكريم عندها سؤالاً مباشراً لساهر، لا يحيد عنه مخرج وقال:

هل تستطيع القيام بذلك..؟؟

(أيوه) أقدر أن أصلحه (يا فندم)..

هيا أمامي مباشرة..

شرع ساهر في عمله في محاولة إصلاح ما تلف، وذلك تحت ملازمته من أحد الحراس، وبقيت أنا مع الضابط عبدالكريم خارج الشقة، بمجرد أن انصرف

قُصي هو الآخر لعمله، منتظرين استعادة التيار الكهربائي، حينها قال الضابط عبدالكريم مخاطباً إياي:

لقد أرسلنا قبلاً أحد أفراد البوليس ليبلغ عائلة المتوفى، ويخبرهم أن التحقيق ما زال مستمراً حتى الآن، ويحاول معرفة القدر الممكن من المعلومات الجديدة عنه.

أرجو أن تتحمل عائلته الخبر..

أرجو ذلك.. لكنه لا يمتلك عائلة كبيرة كما تم إخطاري، إذ توفى أغلبهم منذ وقت طويل، ومن تبقى منهم فقط هي جدته العجوز، التي تقطن في منطقة أكتوبر.

ولكنني سمعت أنه خاطب أيضاً..

نعم أعلم ذلك، بالواقع أن خطيبته الشابة هي أول من علم بالحادثة، وهي الآن ترقد في مستشفى قريب فاقدة الوعي، إثر إصابتها بوعكة صحية مفاجئة ألمَّت بها، من شدة هول الخبر الذي سمعته، إذ شق عليها خبر وفاة خاطبها كثيراً..

أوه المسكينة.. "رددت متأثراً بأسف" من كان يتصور حدوث فاجعة أليمة كهذه في حياة أحدهم.

معك حق.. لكن الحياة هكذا تسير دائماً، تصبح على حال وتمسي على حال آخر مختلف تماماً، بقي فقط عودة التيار الكهربائي، ونباشر التحقيق بعد ذلك.

لكن أخبرني بصراحة.. ماذا ترى في الأمر..؟! هل راودتك أي شكوك حول غرابة القضية..؟!

لا شيء مميزاً البتة.. تحدث مثل هذه الحوادث طوال الوقت، ولكني لم أرغب في مواصلة التحقيق، على اعتماد النتيجة المتوصل إليها فقط.

ما الذي ترمي إليه بقولك هذا..؟؟ "قلت مستغرباً ردهُ المُتحير"

هنالك ما أزعجني بخصوص الحادث ولم أستطع تبيان كنهه حتى الآن..

لذلك طلبت أن تستمع إلى رأيّ الشخصي، علَّك تربح بالك بذلك..!؟

نعم صحيح ما قلت تماماً، أنا لا أتعمَّدُ الاستهانة بعملي إطلاقاً، لكن وكما ترى أن من واجبي إنهاء القضايا التي أعمل عليها بأفضل طريقة ممكنة، وهذه الغاية لا تتعارض من الاستعانة بعقل آخر مُطلع، إذا أحتاج الأمر لذلك.

شكراً على ثقتك بي.. "قلت ممتناً"

سُمع حينها صوت عالٍ لقرقعة مألوفة، إذاناً بتشغيل المفتاح الرئيسي للعلبة الكهربائية خارج الشقة، معلناً معه عودة التيار الكهربائي إلى كِلاَ الشقتين، كاشفاً تحت أضوائه الساطعة، ساحةً لجريمة من المُرجح أن تكون من أصعب القضايا، التي مررت بها حتى الآن..

الفصل السادس

ما إن عادت الأنوار إلى عملها، حتى كشفت الشقة عن ساحتها لاستكمال التحقيق، إذ كان الموقف على غير المعتاد، ساحة جريمة من دون ضحية، وضحية ترقد بعيداً في موقع آخر، كقطعتي من لغز واحد غير متطابقتين، حيث بدا الأمر منذ الوهلة الأولى، وكأننا نحاول الجمع بين شيئين لا يتفقان إطلاقاً، فتجلت الشقة منذ أول مشهد في فوضى عبثية، وهذا لأنها في واقع الأمر كذلك، ولما لا، فقد قضى الضحية الأسبوعين المنصرمين في أعمال الترميم والإصلاح المتواصل، للشقة القديمة التي أشتراها مؤخراً بعد ادخاره لجُهد السنين، كومة من الرمال المتجمعة هنا، ومقدار من الأحجار في الزاوية، وبعض من حُزم السيراميك ارتصت بجانبها، وكمية من الأخشاب وطيات الفرش البلاستيكي هناك، وعُلب الدهان والتلبيس الجمالي التي انتشرت في كل أرجاء الغُرف تقريباً، والجدير بالذكر بأن الأجهزة الكهربائية، تكاد تكون منعدمة تماماً كما قال الضابط عبدالكريم، باستثناء الإنارة الأساسية فقط..

انتظرت قليلاً من الوقت عند باب الشقة، حتى يفرغ خُبراء التكنيك الجنائي من عملهم، من التقاطٍ للصور ورفعٍ للبصمات وغيرها من الأعمال المعتادة، أما الضابط فقد أسترسل مرةً أخرى، في الاستماع لإفادات الشهود من الجيران سكان العمارة، حيث نفى الجميع رؤية الشاب يستقبل أي زوَّار خلال اليوم السابق للحادث، أو حتى احتمالية سماع أصوات لمحاولة اقتحام ممكن، أو أي حركة مشبوهة تحصل في المكان، مع ورود معلومة مميزة، بأن الضحية لم يلازم

الشقة في اليومين السابقين للحادث، وذلك لبقائه خارجاً لأجل قضاء إحدى المشاغل الخاصة، الأمر الذي أكده لي صديقه قُصي وبقية عُمال المحل. قاطع خبير البصمات الضابط عبدالكريم من عمله، وناداني بمجرد ملاحظته لوجود مادة مجهولة المصدر، أراد استشارتي بشأنها. اتجهت من فوري نحو الشرفة لألقي نظرة فاحصة، علّي أتبيَّن ما تم العثور عليه، فعلى حسب خبير البصمات، فقد وجدت بقايا من مادة دهنية القوام شبه محترقة، متناثرة على هيئة بُقع في بعض المواضع من أرضية الشرفة الحجرية، التي قد سُبق واختلطت ببقايا ماء المطر الذي هطل بالأمس، وذلك ما أتلف الدليل بطريقة جزئية، لكن كما بدا لي أيضاً من حالتها الفيزيائية الباقية عليه، أنها لم تكن موجودة منذ وقت طويل، حينها أستهل الضابط مستفسراً عنها قائلاً:

تُرى ما أصل هذا الشيء الذي يغطي الأرضية..؟!

رددت عليه وقلت: أعتقد أنها بقايا مركب أروماتي مُستهلك، أو بالأصح أحد أنواع الشحوم التي تستخدم في محركات الآلات وعربات النقل الثقيل، لكن يبدو عليها أيضاً بعض آثار الاحتراق جراء استهلاكها..

ولكن ما الذي جاء بها إلى هذا المكان..؟! هل تعتقد بوجود صلة بينها وبين الحادث..؟؟

أنا لا عِلم لي حقيقةً بالسر من ورائها، بيد أن البقايا تبدو حديثة العهد، وما يحيرني أكثر في شأنها، احتفاظها بحالتها الشبه السائلة، مع أن جوّنا اليوم بارد. ألقِ أيضاً نظرةً عن كثب تجاه هذه المنطقة "وأشرت بيدي إلى مجموعة البقع

المتجاورة" سترى هُنا علامات ظاهرة، لآثار ناتجة عن إنزلاق تطابق حجم الأقدام البشرية..

رحماك يا رب.. "هتف الضابط عبدالكريم بإنفعال" هل وقع الشاب بعد أن زلَّت قدماه بهذا الشيء..!؟

الاستنتاجات الأولية تتعاطى بجديةٍ مع هذه الفرضية، ولكن كيف لبقايا هذه المادة أن تتواجد هكذا بحالتها الشبه مسالة، بل وتخلف مثل هذا الأثر الرهيب، هذا الأمر غير منطقي إطلاقاً، لأن هذا النوع من المركبات يبقى دائماً في حالة صلبة شبه متماسكة، في درجة حرارة الغرفة العادية، ويحتاج للتعرض المباشر إلى مصدرٍ حراريّ مرتفعٍ حتى يُسيل، فما بالك ببرودة الهواء الخارجي في جوّنا الشتوي، فإذا افترضنا وجودها في هذا المكان وبحالتها الصلبة تلك، لأستصعب توفير القدر الكافي من مستوى الاحتكاك الناقص، الذي يؤدي الغرض منه.

أردف الضابط عبدالكريم متسائلاً وقال:

لكن هل تعتقد أن الضحية قد أتى بها إلى هُنا عن قصد، بعد قيامه بتسخينه مثلاً، أو أن حرارة الشمس هي التي تكفلت بذلك..؟!

بالعكس.. أنا لا اوافقك الرأي في هذه النقطة، فمن المُستبعد كل البُعد قيام حرارة أشعة الشمس مثلاً بمفردها، بعملية إحالته إلى هذا الحال، فكما ترى من موقع الشقة وإطلالة شرفتها، يستحيل أن تصل أشعتها إلى هنا مباشرة، إلا في ساعات محددة من اليوم، فقط في ساعات الصباح الباكر حتى منتصف

النهار، بالإضافة إلى أن درجة الحرارة المنخفضة هذه الأيام، لا تُساعد على إتمام عملية التوسع الجزيئي بالشكل المطلوب، وفوق ذلك السماء ملبَّدة بالغيوم، ولا تنسى أيضاً هطول المطر في يوم الأمس، فإذا ما وضعنا في الحِسبان قيام العوامل الجوية بعملية التوسع الجزيئي للمركب حتى أستحال لحالته السائلة، لكان المركب قد تعرض لدرجة حرارة عالية جداً، تكون كفيلة بتحويله حالته المادية، من شبه الصلبة إلى ما يقارب الحالة السائلة، تماماً مثل ظُروف تواجد درجة حرارة عالية، كالتي تتولد وسط محركات الآلات الكبيرة وعربات النقل الثقيل..

أضاف عندها الضابط عبدالكريم لفرضيتي قائلاً:

أو كحرارة موقد النار أو المكواة مثلاً..

أصبت في كلامك.. لكن وكما تلاحظ أمامك، أن الشقة تخلو من احتوائها على أي موقد للنار أو حتى مكواة..

إذا كيف حدث كل هذا برأيك..؟!

إنني لا أملك حالياً أي فرضية واضحة تدعم الأسباب الرئيسة لنشوء هذا الدليل المهم، ولكن كما يبدو وبلا جدال، امتلاكه لصلة ليست ببعيدة تربطه بالحادث..

رد الضابط مُعللاً: إذا ما كان سبب الموت حادثاً عرضياً، فمن المُرجح جداً أن تكون هذه المادة الغريبة هي ما أسفرت عنه.

اعترضت وقتها بشدة على كلام الضابط عبدالكريم، وقلت رافضاً إياه:

أطلب منك رجاءً ألا تتسرع في إطلاق الأحكام المستبقة لأوانها، اعتماداً على أدلة متباينة التأثير مجهولة المصدر، وذلك فقط بمجرد أن خالجك حدس بشأنها..

أتريد القول بأن ما حدث لم يكن المُسبب له إهمال مُتعمد من جانب الضحية..؟؟

إني لا آخذ حالياً هذه الفرضية مأخذ الوثوق، ولكن هنالك ما يثير الريبة تجاه القضية ككل، أشعر أن هنالك شيئاً ناقصاً قد غاب عنّي، ولا أستطيع إدراك أبعاده حتى الآن، لدى عليّ حالياً التريث قليلاً، لكي أستطيع تجميع أكبر قدر ممكن من الأدلة المفهومة، ليتسنى لي عندها إعادة صياغتها بما يربطها بالقضية..

عندئذٍ أقبل أحد الحراس، وقال مخاطباً الضابط عبدالكريم بحرارة بعد أن أدى التحية العسكرية، رافعاً يده بمحاذاة وجهه وضارباً بإحدى قدمية بالأرض بجدية:

افندم...

ماذا الآن..؟؟

هنالك أحد الأشخاص يريدك في الأسفل..

من يكون..؟؟ وماذا يريد..؟؟

يقول إنه أحد التجار المعروفين، جاء ليقبض نقوده التي كانت بحوزة الضحية، بعد سماعه بخبر موته.

عن أي نقود يتحدث..؟! "هتف الضابط بمقت وانزعاج" هؤلاء التجار لا رحمة عندهم ولا صبر..

أنصرف الضابط في شأنه، وبقيت أنا مع أخصائي البصمات أعاين سياج الشرفة بحرص، والذي بدا لي منذ الوهلة الأولى متهالك المظهر، لكنه أظهر عكس ذلك تماماً، بعدما إقدامي على محاولة زعزعته أكثر من مرة، لدحض احتمال أن يكون عدم استقراره، السبب في سقوط الضحية، بيد أن الصدفة قد اظهرت لي شيئاً آخر غير ذلك، فقد كان ارتفاعه أقصر من المُعتاد بعض الشيء، في سابقة لم تُشهد من قبل، وبالإضافة لكونه معزولاً تماماً من أي غلاف خشبي أو بلاستيكي على قمته، كالتي تتميز به بقيّة أسيجة الشُرفات، فبدا للناظر كقطعة معدنية مكشوفة بالكامل، والذي جعله فقط يظهر بمظهر السياج المعروف، تلك الزخارف البسيطة التي احتوت جوانبه، بينما لاح منظر الأرضية المبللة بالمطر والبقايا الدهنية مشؤوماً للغاية، فهل حقّاً أنزلق الضحية عن غير قصد، وهوى من على شرفته بهذه الطريقة المفزعة، أو أن هنالك أمرٌ أخر قد وقع، هذا ما لم أستطع التأكد من صحته حتى الآن..

هممت فور إنتهائي من عملي، بالنزول صوب محل قُصي، علّي أجدُ بعض الإجابات لتساؤلاتٍ لطالما حيرتني، فلمَّا وصلتُ إلى الشارع قبالة بوابة العمارة، تواردت إلى مسامعي أصوات عالية متناحرة، كان مصدرها محل الإنترنت، إذ بدى وكأن جدالاً عنيفاً قد نشب بين قُصي وساهر - الشريك في المحل - خرج

الأخير على إثره منزعجاً بشدة، بعد أن كال السباب الفظيع، وألقى الوعيد الشديد على عُمال المحل. أسرعت باتجاه المحل وقت أن أنصرف صاحبنا وولّى، ووجدت قُصي منفعلاً، جداً يجلس على أحد الكراسي، يتمتم ببعض الكلمات والشتائم التي لم أفهم منها شيئاً، فاتخذت لي مكاناً بجواره وقلت له:

وماذا الآن..!! هل حصل شِجار آخر..!؟

رد قُصي بانزعاج، مشيحاً بيده في الهواء قائلاً:

يا أخي هذا ساهر لا يزال يُسبب لنا المشاكل..

ما باله هذه المرة..؟؟

لقد أتى التاجر الذي أستدان منه عمار مبلغاً من المال قبل فترة، يُطالب بما هو حقه من دين، محضراً معه الكمبيالات التي تؤكد استدانة عمار منه..

إذن ما المشكلة في ذلك..!! هل لا يتوافر لديكم المبلغ المطلوب..!؟

المشكلة أن المبلغ كبير جداً، وما يتوافر معنا من سيولة لا تفي حقه إطلاقاً، لكن المأزق الأكبر ليس هُنا بالضبط، فمفتاح الخزنة التي توضع بها إيرادات المحل عادة، غير متواجداً معي الآن، إنه بحوزة جدة عمار..

حسناً إذن.. إذا كان الأمر على هذا النحو، خذوا المفتاح من الجدّة، وأعطوا الرجل حقه..

رمقني قُصي لحظتها بنظرة شاخصة مصعوقة، وقال بجدية بنبرة من خبر سراً فضيعاً:

أوتدري كم مقدار المبلغ الذي أستدانه عمار من التاجر..؟؟ إنه عشرون الف دولار أمريكي..

يا إلهي.. "قلت حينها منفعلاً بذهول" وماذا يصنعُ عمار بكل هذا المبلغ الضخم..!؟

وما أدراني أنا.. "هز قُصي كتفيه نافياً" يبدو أنه أحتاج الكثير من المال عندما أشترى الشقة..

وما دخل ساهر إذن بالموضوع..!؟

أنسيت أنه الشريك في محل الإنترنت، إذ أشترط أن ينتهي الأمر سريعاً، ويأخذ التاجر محل الإنترنت مع الشقة تعويضاً له، بعد أن يُعطي الأخير ساهراً نصيبهُ من شراكه المحل، وكل ذلك لأنه لم يعد يرغبُ بمواصلةِ الشراكةِ بعد الآن، ولأجل أن تُصفى كل الديون المتخلفة، وإلا سنتحمل نحن كامل المسؤولية على حد قوله، ونمسي كلنا في الأخير غارقين وسط مشاكل قانونية غير منتهية..

عقبات جديدة أُضيفت للقضية زادت من مقدار صعوبتها، دافعه إياها للوصول لهذا المستوى المتأزم، فكما يبدو أن مشكلة صديقنا، قد أمست تشتملُ على المزيد والمزيد من المُعوقات والحواجز المؤرقة، وأنا من كُنت أعتقد منذ ساعات قليلة ماضية، أنها ستنتهي سريعاً وبمنتهى السهولة، إذ رُجحت مرة أخرى وعلى غير المتوقع، كفة احتمالية الفعل الآثم، مع وجود دوافع كثيرة ظهرت للعيان، كلها تلهثُ طمعاً خلف مِيراث الضحية، بيد أننا لا نملك من

الأمر شيئاً حتى اللحظة، إلا إذا ما استطعنا أولاً وقبل كل شيءٍ، إثبات وجود جريمة القتل..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل السابع

بقيتُ في المحل أُحاول ترتيب التشتت البالغ لحبال أفكاري، عاكفاً منكباً في سكون في ركن هادئ، إثر التطورات الأخيرة التي طرأت على سير مجريات القضية، حيث تبدت النتائج التي ما برحت أن لاحت لي في الأفق، ذات عواقب ليست بحميدة، فكما هو غير متوقع، أعطت الدلائلُ المهمة التي تجلت مؤخراً على واجهة الوقائع، العديد من الاحتمالات السلبية والغير مستحبة في مآلها، والتي لم تكن في الحسبان حتى الآن، كون كل ما كان يدور حول الضحية منذ بداية التحقيق، أصبح مؤخراً - زيادة عن اللزوم - ذا طابعٍ مبهمٍ عسير عن الإستيعاب، فكيف لشخص مثلهِ، أن يضع نفسهُ في خِضِم هذا الرهان الصعب، ويبذل الكثير من الوقت والجهد لأجل تحقيقه، ومن ثم يتخلى عنه هكذا فجأة في آخر المطاف، وبهذه البساطة والاسلوب الغير مبررٍ مطلقاً، تاركاً للجميع خلفه، قدراً ليس بيسير من الأسئلة وعلامات التعجب، التي استفحلت على الفهم والاستيعاب، ولما أبداه الموقف الأخير من مستوى جديد من عُمق في الحقائق، آثرتُ حينئذٍ التريث قليلاً للاطلاع، على أكبر قدرٍ ممكنٍ من المعلومات المناطةِ بالضحيةِ نفسه، كالتقرير النهائي للطبيب الشرعي والتفاصيل الدقيقة التي تمخضت عنه، أرتجي منه الكشف عن دلائل توصلنا، لأبعد مما توصلنا إليه في السابق.

عندما عجزتُ ساعتها عن إيجاد الضابط عبدالكريم، ارتأيت أنّ من الأفضل لي البقاء في المحل مع العامل لفترة أطول، في وقت كانت فيه الساعة

قد تعدت الواحدة بعد منتصف الليل، بالإضافة إلى أنني قد وجدتها من جهة أخرى، فرصة مواتية لأستشف معلومات إضافية عن أهل الضحية، فكما هو معروف سابقاً، أن جدّة عمار العجوز، تقيم بمفردها في منزل صغير بمنطقة أكتوبر، وهي الفرد الوحيد المتبقي من أهلة، ولكن رجال البوليس قد عجزوا حتى الآن، عن مفاتحتها بموضوع الشروع في التحقيق الجنائي، مراعاة لصعوبة الوضع الذي تمر به حالياً، بعد خسارتها لحفيدها الوحيد، الذي كان دائم التردد على زيارتها حتى أمس قريب، وفوق ذلك كله، تجنباً لتحميلها الهم الثقيل، خاصة في حالتها الصحية الحساسة في هذا العمر المتقدم، بعد أن رق عظمها وانحنى جسدها، وبات الفراش جل حركة يومها. بينما أنا منشغل في غمرة هذا كله، إذ بالمعاون الذي رافق الضابط عبدالكريم قبلاً في شقة الضحية، يمر مسرعاً بخطىً واسعة وسريعة، أمام بوابة المحل تجاه بوابة العمارة. تبعته للخارج واستوقفته، أستفسر منه عن مكان الضابط، فرد عليّ مجيباً:

إنه موجود الآن بمكتب التاجر، الواقع بالقرب من المخازن المتواجدة بمنطقة (الدكة)، ولقد طلب منّي الرجوع على الفور إلى المحل، بمجرد أن قمت بإيصاله إلى هناك، إذ قال لي أن (شيخ الحارة) في منطقة سكن الجدّة، سيأتي بعد وقت قُصير ومعه مفتاح الخزنة، في حالة أن استجابت الجدّة لمطالبه، لذلك وجب عليّ أن أكون متواجداً في المحل، لأجل استقباله وملازمته عندما يصل.

رددت عليه مستغرباً كلامة وقلت:

لماذا..؟! أتوجد مشكلة ما..؟؟

لا مشكلة إطلاقاً.. ولكن يبدو أن الجدّة تمر حاليّاً بوضع نفسي متأزم، ومن بالغ الصعوبة علينا في الوقت الراهن، دفعها على الاستجابة لمطالب شيخ الحارة، فاحتمال كبير أن يرجع الأخير من غير نتيجة تذكر..

المسكينة (الله يكون بالعون).. الم يقل لك الضابط عبدالكريم، عن موعد رجوعه إلى هنا..؟! أريد أن أطلب منه معروفاً..

ماذا تريد منه..؟! أهو أمراً مهم خاص بالتحقيق، بإمكاني القيام بإيصالك إليه إذا أردت ذلك، لأنه مشغول كثيراً في الوقت الراهن، وقد يتأخر في موقعة الحالي، ولكن قبل ذلك، أمهلني حتى يصل شيخ الحارة وينتهي من عمله..

أريده أن يعطيني تصريحاً خاصاً لدخول غرفة المشرحة، أرغب بالتأكد من حالة الضحية عن قُرب، وإلقاء نظرة فاحصة عليها، قبل صدور تقرير التشريح النهائي للطبيب الشرعي..

رد المعاون بحرج وقال:

أوه.. تقرير التشريح النهائي.. أعتقد أنه سيتأخر بعض الوقت، ربما لأكثر من أربعٍ وعشرين ساعة، يبدو أن هنالك ما يشغلهم في عملهم حتى الآن..

حسناً إذن، ولكن لم تقل لي حتى الآن، لماذا ذهب الضابط ليقابل التاجر في مكتبه..!؟ هل حصل إشكال ما..!؟

على العكس تماماً.. فالأمر عادي جداً.. إذ كان ذلك نزولاً عند رغبة التاجر نفسه، حيث أنه طلب من الضابط عبدالكريم، مرافقته إلى مكتبه عندما قدم إلى هنا سابقاً، وذلك لأجل أن يريه الوثائق والكمبيالات، المحفوظة في خزنه خاصة عنده، من وقَّع عليها الضحية، ليؤكد للضابط صحة أقواله، ويثبت استدانة الضحية منه.

هكذا إذن.. لكن عجيب أمر ذلك التاجر..!؟

ماذا تقصد بعجيب..؟؟ أنا لم أفهم قصدك...؟!

أقصد بكلامي السرعة التي أستجاب بها للإعلان عن حقوقه، بعد فترة وجيزة لا تتعدى سويعات قليلة على موت الضحية.

وماذا في الأمر..!! لقد أتى ليقبض النقود التي هي من حقه..

نعم أتى ليقبض نقوده، ولكن ما أدهشني هي السرعة التي أستجاب بها، فكما تعلم أنه لم يمضِ الكثير من الوقت على وقوع الحادثة، بضع ساعات لا أكثر..

رد المعاون على تفسيري بإنفعال وحرارة ظاهرين، وهتف قائلاً:

أتقصد أنه كان على علم أكيد، من موعد لقاء الضحية لمصرعه..!؟

لا لا.. "أجبت مندهشاً بعجب من خيال المعاون الخصب" لا تتسرع وتطلق الأحكام المسبقة جُزافاً، أنا لم أقصد هذا الكلام مُطلقاً، ولكن الظاهر أن هنالك من أوصل الأخبار للتاجر، وأخبره بالحادثة فور وقوعها..

هكذا إذن.. "أجاب المعاون مُتقبلاً استنتاجي باهتمام" إذا كان الأمر على هذا النحو، فلا يوجد ما يقلق في الأمر، فأخبار كهذه أسرع انتشاراً من مرض زكام موسومي..

وقتها ضحكت ضحكة باهتة من تشبيه المعاون الدقيق، وقلت راداً على كلامه:

أتمنى أن تكون مهمتنا بهذه البساطة مثلما تقول، ولكنني أخشى أن تشتمل القصة لاحقاً على ما هو أكثر من ذلك بكثير.. صمت عندها لثواني قليلة، ثم أضفت لكلامي وقلت للمعاون:

حسناً إذن.. يكفي فرضيات مستفيضة حتى الآن، فلندخل للمحل ولننتظر وصول شيخ الحارة، عسى أن تؤول الأمور إلى خير مآل..

بعدها بمدة قُصيرة، أقبل حسام الذي غاب عن ناظريّ لفترة طويلة. سألته عن سبب اختفائه، وإذا كان قد علم بأي معلومات جديدة تفيدنا في القضية، فأخبرني أنه كان في منزل الجدّة سوسن منذ الحين، الذي كُنت أنا به برفقة الضابط عبدالكريم، مضيفاً إلى كلامه أنه أخبرها بضرورة بقائنا في الخارج حتى ساعة متأخرة، جراء انشغالنا في التحقيق الذي لم ينتهِ حتى الآن، وعليها الاتصال بأمه - شخصياً - لتفهمها بسبب تأخرنا.

أصبحنا حينئذٍ أربعة أشخاص في المحل، ننتظر وصول مفتاح الخزنة، ولم تمضِ بعدها أكثر من نصف ساعة، إلا وأقبل قُصي برفقة شيخ الحارة، الذي كان رجلاً طاعن في السن، ذا لحية بيضاء، كثيفة ووجه أمتلأ بتجارب الحياة،

ولكن ما لفت انتباهي أكثر حينها، هي ملامح قُصي المضطربة بشدة، إذ بدت عليه علامات الانفعال العارم ظاهرةً للعيان، ليصرخ بسخط بالغ بعد أن امتعقت ملامحه، وطغى شحوباً قاتم على كامل وجهه، ملقياً بكلامه نحوي مباشرة حينما رآني قائلاً:

ليتني لم أذهب إلى هناك قط..

استغربت من كلامه وقلت له مهدئاً إياه:

خير إن شاء..!! ماذا هناك..!؟ لماذا تقول مثل هذا الكلام..؟!

صرخ مرة أخرى بإنفعال وانهيار، وقال بكلمات سريعة مطوقاً رأسه بكلتا يدية:

الرحمة.. لقد كانت تجربة قاسية بحق، فلم أستطع عمل أي شيءٍ، أو حتى قول أي شيء في بيت الجدّة.

رددت عليه باستغراب أكثر وقلت:

وما الذي حملك على قول هذا الكلام..؟؟ ما الذي حصل في بيت الجدّة..؟! الم تستطع إحضار المفتاح معك..؟!

بلى قد أحضرته معي ولكن بعد (أيش)، الوضع كان مزرياً جداً في بيتها، النساء كنّ يصرخن عالياً ويعولن بشدة بشكل متواصل، قد وصل صوت انهيارهن ونحيبهن إلى الشارع، والجميع كان موشحاً بالسواد في ملبسهم ووجوههم، أناس يدخلون البيت وأناس يخرجون منه طوال الوقت، والسمة

المشتركة بينهم كآبة وبؤس لا ينتهي، والجدّة بدورها ملقاة على الأرض، لم تستطع النسوة زحزحتها من مكانها، تبكي بحُرقة وتنتحب، تريد ولدها الذي فقدته، حتى إنها لم تستطع التعرف على صورتي إطلاقاً وهي التي تعرفني، أتصدق ذلك..!! فكان الوضع هناك مأساوياً جداً، حتى أنا لم أستطع الامتناع عن كبح جماح نفس، وبكيت أيضاً..

ولكنها أعطتك المفتاح صحيح..

نعم أعطتني إياه، إذ تدخلت زوجة شيخ الحارة، وأفهمتها أهمية الموضوع، وأن هذا الأمر مبنيٌ على طلب رجال البوليس أنفسهم، فهدأت بعض الشيء، ورضخت الجدّة في آخر المطاف لمطلبها..

رددت متنهداً وقد انفرجت أساريري:

الحمد لله..

أكمل قُصي كلامه بإنفعال أكبر مرارة وانتحاب شاب صوته، وصاح قائلاً:

أريد أن ينتهي الأمر بأسرع ما يمكن، أريد أن يعجلوا ويدفنوا عماراً، فلم أعد أعلم كم بمقدوري البقاء على هذا الحال، أكاد أن أفقد صوابي بعد كل ما مررت به، فلم يعد يهمني بعد الآن أمر المحل ولا الشقة، ليأخذوا كل ما يريدون وليتركونا لحالنا..

أثَّر بي هذا المشهد بشدة، مما دفعني لأن أهتف بحزم بدوري في وجه قُصي، حتى إنني كدتُ على وشك توجيه لكمة إلى فكه، لما رأيته من علامات الانهيار البالغ، التي بدت طافحة بقوة على ملامحه المحتقنه، فقلت مهدئاً إياه:

تمالك نفسك يا هذا حباً في الله، يكفي انتحاباً كالأطفال، الناس تموت يومياً في كل مكان، وأنت بمجرد أن مسَّك شيءٌ من الضُرر، تهوِّل الحال وتلقي بنفسك إلى حفرة البؤس المسودة، أتريد أن تبقى هكذا لبقية حياتك أسيراً أم ماذا..؟! يكفي إلى هنا، ولتدع كل شيء يمضي في حاله، فلست مسؤولاً عما يحصل لأحد..

شُدِهَ الجميع من هول المشهد المريع الذي دار أمام أعينهم، وأحجموا عن الكلام بعد أن انعقدت ألسنتهم وأطبقت أفواههم كالمحار، حتى أن شيخ الحارة نفسه، قد ملأه قدرٌ من الدهشة والذهول لما رأى أمام ناظريه من عجب، فلم يعد الموقف يحتمل المزيد من التطويل أكثر، حتى القضية نفسها التي أبت أن تستمر إلى الآن إلا بطريقتها الخاصة، حتى وإن كانت ناقصة الحل، كان الواجب عليّ إنهاء بأسرها بأسرع ما يمكن، رحمة بالموجودين وكرامة للميت نفسه..

بادر المعاون حينها بتلطيف الموقف، ثم تقدم تجاه الخزنة حاملاً مفتاحها في يده. أدار قفل الأمان ليحرر المصاريع الداخلية للخزنة، بمعية قُصي الذي أعطاه رمز القفل، ووضع المعاون المفتاح في مكانه وأداره، فأصدرت الخزنة صوتاً مهيباً معلنة عن فتح بابها، حتى إذا ما أجتمع الكل بنظراتهم المتلهفة والمحمومة ليعرفوا ما تخبئه، انقلبوا ساعتها منذهلين أشد الانذهال، جراء رؤية ما احتوته، وأطلّ قُصي المغموم بدوره من خلفهم لينضم للمشهد، فحدجها هو الآخر بنظرة شاخصة لبرهة خاطفة، ثم ما لبث أن صرخ بأعلى صوته مُنهاراً قائلاً:

اللـعنـة..

خرج قُصي مسرعاً من المحل إثر هذا المشهد، صافقاً الأبواب الزجاجية خلفه بعنفوان، فهتفتُ حينها لأبن عمتي، وحثَّيتُهُ على اللحاق بصاحبه وملازمته أينما ذهب، وقلت بإنفعال للمعاون بعد أن غاب عنّي المشهد الأخير..

ما الذي حدث..؟! ماذا وجدتم في الخزنة..؟؟

أجاب المعاون بكل بساطة وقال:

لم يحدث أي شيء.. لأن الخزنة كانت فارغة..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل الثامن

بمجرد وصول التطورات الشائكة لذروتها، لم يتبقَّ في يدي سوى هذا الملجأ الأخير حتى أقدمه وكلي أمل، عسى به أن يكون ذا فائدة تذكر، لما تبقى لدينا من الوقت في وضعنا الحرج هذا، حيث أُوصدت أمامي كل الأبواب الممكنة، وتداعت جميع الفرضيات المحتملة، والتي لطالما بنيت عليها آمالاً عريضة منذ البداية، فكان السبيل المتبقي لدي هنا، هو في إيجاد إجابة تامة لذلك السؤال المحيّر، الذي لطالما أرّق الجميع مُنذ البداية، والذي سبق وشاب الوضع بكمية ليست بيسيرة من الغرابة المبهمة، ألا وهو "كيف مات الضحية..؟؟" فهنا بالذات وجدت طريقاً ذا اتجاه واحدٍ لا غير، منحني تصوراً مُحتملاً لنهاية الأحداث، إذا تأكدت فرضيتي منه وصحّت في آخر المطاف، وها أنا الآن أضع قدمي وأولى خطواتي، على الطريق التي رجوت بشدة، أن ينقلب مآله في نهايته خيراً، ويمنحني إنجاز قيّماً، فهممت إثر المشهد الأخير الذي كاد أن يَخرجَ عن السيطرة، بالتوجه برفقة معاون الضابط، الذي أظهر قدراً ليس بيسير من النباهة وخصوبة المخيلة، صوب المكان الذي يتواجد فيه الضابط عبدالكريم، مستقلين وسيلة نقل سريعة، وذلك بعد قيامنا بتوصيل شيخ الجارة إلى مسكنه.

لم تكن الطريق طويلة كثير تجاه وجهتنا، مجرَّد بِضعةِ كيلومترات قطعناها، عبر عِدة شوارع خلفية التففنا حولها، وصولاً إلى أحد المخازن التي ارتصت قُبالةَ ميناء المُعلا، حيث يقبع مكتب التاجر. كانت الساعة حينئذٍ قد

تعدّت الثانية بعد منتصف الليل، لكن التطورات الساخنة التي مررنا بها في الساعات الأخيرة المنصرمة، أنستني الإحساس بالوقت، وسط تفكيري الدائم والانشغال المتواصل بالقضية. هدأت سرعة وسيلة نقلنا بمجرد دخولها لمنطقة المخازن، ولمحت مِنْ على بُعدٍ - بعد فترة وجيزة - تحت الأضواء الكاشفة لأعمدة الإنارة، الضابط عبدالكريم يقف في منتصف الشارع، يلوّح لنا بيده لمكان وقوفه. ترجَّلت من المركبة لحظة وصولي، وسألته عن صِحَةِ حُجَّةِ التاجر، فأجاب عليّ وقال:

ليس هنالك ما يثير الريبة في الوثائق التي قدَّمها، إذ تأكَّدت بنفسي من تطابق خط الضحية وإمضائه، بعد مقارنتها مع فواتير وأوراق قدمها لي عامل المحل فيما سبق، وقد وصلني أيضاً، خبر ما حصل في المحل بخصوص الخزنة، يبدو أن صديقك قد ورط نفسه بما يفوق قُدرة احتماله، أخشى أن الأمور لم تعد تبشر بخير بعد الآن..

معك حق في كل ما قُلت، ولكن أرجو منك منحي قبل كل شيء وعلى جناح السرعة، تصريحاً خاصاً لدخول غرفة المشرحة، أريد إلقاء نظرةٍ فاحصةٍ عن قُرب على جسد الضحية، قبل قيام الطبيب الشرعي بعملية التشريح، هنالك ما يوقظ سكينتي منذ البداية، وأرغب بالتأكد منه..

هذا فقط.. لا مشكلة في ذلك.. سأتصل من فوري بالمشرحة، وأمر مساعد الطبيب الشرعي بالتعاون معك، وسأضع المجنَّد رأفت في خدمتك أيضاً، سيرافقك طوال الوقت، وسيوفر لك كل ما تحتاج، أما أنا فسأرجع إلى شقة

الضحية لأواصل العمل، وأبقى هُناك حتى ترجعوا بنتيجة طيبة، لدى أرجو لكم كل التوفيق في مساعيكم..

أوصلنا الضابط لموقع الشقة، ومن ثم انطلقنا من فورنا تجاه الموقع الذي ترقد فيه الضحية. حال وصولنا، لزم المعاون رأفت المكوث في السيارة، فتقدمت بمفردي لبقية الطريق. كان المكان بارداً كئيباً عندما وصلت، وتفرعت أمامي عِدةُ ممرات في كل اتجاه لم أعرف لها قرار، وانعكست أضواء المصابيح العديدة التي تدلَّت من السقف بقوة، وارتدت على الجدران الرخامية معطية انعكاساً أبيضاً مبهراً، وفاحت في الجو رائحة نفَّاذة لمحاليل كيميائية، لطالما اشتهرت بها هذه الأماكن، وساد صمتٌ مُطبقٌ عمّ أرجاء المكان، حتى شككت منذ الوهلة الأولى، أنه قد أخلي عن آخره، فقط أزيز المصابيح العصبي المتواصل من رافقني طوال الوقت، ولكن بعد مدة وجيزة، وُفقت بالعثور على أحد العاملين في المرفق، فقام الأخير بعد تعرُفهِ على صِفةِ وجودي، بإيصالي إلى غرفة حفظ الجثث، لألتقي فيها مساعد الطبيب الذي كان وقتها في انتظار وصولي..

كان المساعد شاباً في العشرينيات من عُمره، نحيل الجسد بعض الشيء ذا ملامح بارزة مميزة، ذو وجهٍ مُبيضٍ شاحب، وأنفٍ منتصبٍ بارز، وشعر رأس كثيف ممشط للجانب، يعكس الأنوار من حوله أسودٌ داكنٌ بلون الليل، وخطوطٍ سوداءَ عريضة، ارتسمت منحنية في أخاديد، تحت عينيه البنيتين الداكنين الغائرتين في محجريهما، يرتدي ملابس قاتمة - تحت معطف الأطباء - تدلُ على دوق خاص خارج عن مألوف، والذي دلَّ ذلك في مجملة، على

شخصية مستقلة متمردة، وعقل متفرد واعي، برغم المظهر اللامبالي والهيئة الغريبة التي بدت منه.

قال المساعد بتؤدةٍ بمجرد أن رآني:

أنت أحمد مهران.. لقد كنت في انتظار وصولك، لقد أتصل بي قبل قليل الضابط عبدالكريم، وأخبرني بأنك جزءٌ من فريق العمل، وأنك قد قدمت إلى هنا في أمرٍ مهمٍ، فكيف أستطيع أن أخدمك..!؟

تفاجأت من أسلوب المساعد اللبق، ورددت عليه قائلاً:

جيد جدّاً.. لكن قبل كل شيء، أرجو منك إخباري بمكان الطبيب الشرعي، هنالك بعض الأمور التي أرغب في مناقشتها معه، بخصوص حالة الضحية..

أوه.. "أجاب المساعد متفاعلاً بأسف" تقصد الدكتور شوقي.. لسوء الحظ لا أستطيع أخبارك، سوى أنه على سفر في الفترة الحالية لأمر خاص طارئ، وأنا موجودٌ هنا حاليّاً لأنوب عنه، لِدى قل لي كيف أخدمك، وسأوفر لك كل ما تحتاجه بقدر الإمكان..

إذا لم يكن لنا من خيار أخر، فلا أرى مانعاً من التعامل معك..

وهو كذلك.. "أجاب المعون موافقاً"

عال إذن.. أولاً.. أريد إلقاء نظرة على جسد الضحية.

طلبك مجاب، أتبعني من فضلك..

تبعتُ المساعد إلى مكان الخزائن المبرّدة، الذي توضع فيها عادة الأجساد البشرية المتوفية. فُتح باب إحدى الخزان، من كان أشبه بدولابٍ جرارٍ، يُظهر محتوياته بمجرد سحبه للخارج، فرأيت رأس صاحبنا ظاهراً عن بقية جسده، موضوعاً في كيس بلاستيكي أسود كبير. فتحت مقداراً يسيراً - بعد ارتدائي لقفزات بلاستيكية - من سحاب الكيس، قصد تفحص القرائن الأولية عن قُرب، وعندها وجهت سؤالاً للمساعد - وسط انشغالي بعملي - وقلت له مستفسراً:

هل أظهرت نتائج الفحص الأولي، أي علامات مميزة ظاهرة على بدن الضحية..؟؟

لا.. ليس الكثير، وإن كُنتَ تقصد بقايا مخلّفات من الحادث، فلم أجد شيئاً مثيراً للشبهات.. لا خدوش سطحية مريبة، ولا آثار إصابة مباشرة أو حتى علامات موضعية للحقن، إن كان سبب سقوطه مثلاً فقدانه للوعي، متأثراً بإبرة مخدرة أو ما سواها.

حسناً.. وماذا بخصوص أيدي الضحية..؟؟ هل أظهرت أي شيء..؟!

مثل ما قُلت لك سابقاً، لا آثار ظاهرة للعين كجروح الصراع، ولا بقايا جلد ممزق تحت أظافر مُكسرة، ولا حتى علامات مثيرة للشبهة، الوضع عادي تماماً، فلم أجد سوى بعض الكدمات المتفرقة، الناتجة عن السقطة العالية، والكسور المختلفة الشدة، ودلائل لانزلاقٍ غضروفيٍ في الفقرات الرابعة والخامسة للعمود الفقري، وجرحُ رأسه الذي كان بزاوية أفقية متناظرة، تبلغ مقدار خمسة وأربعين درجة، وبعض من آثار الصدأ على راحة يده اليسرى،

والذي يدل في مجملة على آلية سقوطٍ نظيفةٍ تماماً، حتى نتائج الفحوصات الكيميائية والسموم، كلها كانت في المستوى العادي، فقط بقايا مادة دهنية مجهولة المصدر، التصقت بقاع أقدام الضحية..

رددت بإعجاب على التقرير المفصل للمساعد، وقلت مطرياً على كلامة:

جيداً جدّاً.. ولم تقوموا بعدُ بعملية التشريح، كما أرى أماميّ الآن..!!

لا.. لم نقم بذلك فعلاً، وإن كانت العملية مناطةٌ بي، لقمت بها منذ أمدٍ بعيد..

ضحكت ضحكة حماسية بعد أن داهمني الانبهار، وقلت راداً على تعليقة وانا أمسح عيني من الدموع:

الحمد لله أن العملية ليست مناطةً بك..

أتريدني أن أضع الجثة على الطاولة حتى تراها جيداً..؟؟

لا شكراً.. يكفيني وجودها هنا..

أتجه المساعد ليقوم بعمل أخر، وانهمكت لوحدي بتفحص جسد الضحية بعناية، محاولاً التدقيق في أصغر التفاصيل الممكنُ ملاحظتها، وقلت بصوت مسموع مجازياً وأنا أتأمل منظرها عن قُرب، وهي ملفوفةٌ بكيس بلاستيكي أسود بعد أن أفرغت من الحياة تماماً:

تُرى ما هي الأسرار التي تخبئنها لنا..؟!

تنبه المساعد لجملتي البلاغية من موقعة، وقال متعجباً بحيرة:

وهل تعتقد أن الضحية تستطيع الكلام، حتى تُجيب عن تساؤلاتك..!؟

أجبت على كلامهِ وكلّي ثقةٌ وتفاؤل قائلاً:

بلى تستطيع ذلك.. ولكن بطريقتها الخاصة.. إذا ما وجهنا لها السؤال المناسب.. ثم أردفت مندهشاً بعد وهلة، وقُلت بصوت مسموع:

هذا أمرٌ لا يُصدق مطلقاً..

ما الغريب في الأمر..!؟ "قال المساعد متفاعلاً" هل اكتشفت دليلاً غامضاً لم أنتبه لوجوده قبلاً..؟!

أنظر هنا.. قلت مشيراً مباشرة إلى يد الضحية، فدنا المساعد منها واضعاً القفازات البلاستيكية ليتفحّصها بكلتي يديه، ثم قال:

ماذا هنالك..؟؟ إني لا أرى شيئاً..!؟ "قال المساعد مستغرباً"

أنا لا أقصد أي أثرٍ على اليد، بل أقصد حالة اليد نفسها.. أنظر إلى وضعية اِنقباضها الباقية.

رد المساعد باستغراب أكثر متحسساً وضعية اليد:

ما الذي ترمي إليه بكلامك هذا..؟؟ الأمر طبيعي جدّاً هُنا، لأن الجثة لا زالت تمر بمرحلة التصلب في هذه الأوقات، جسد دافئ ولا تصلب الوفاة حصلت منذ أقل من ٣ ساعات، جسم دافئ مع التصلب الوفاة حصلت ما بين ٣-٨ ساعات، جسم بارد مع التصلب الوفاة حصلت ما بين ٨-٣٦ ساعات، جسم بارد ولا تصلب الوفاة حصلت منذ اكثر من ٣٦ ساعة، أما بالنسبة للتعفن، فالوفاة قد

حصلت منذ يومين إلى ثلاثة أيام، ومن الطبيعي أن تنقبض اليد بعض الشيء، لأن صاحبك لم تمر على وفاته الثمان ساعات تقريباً..

أنا لا أقصد الانقباض والتصلب الذي يحدث بعد الوفاة، إنما الفت انتباهك، إلى أن هنالك ما حمل الضحية على ضمِّ يده بشدة، وبهذه الطريقة الملفتة للنظر، قبل لفظه لأنفاسه الأخيرة، مما تسبب في استمرار بقاءها على هذه الحالة الغريبة بعد الوفاة..

يا إلهي.. ما الذي تقوله الآن..؟! لأن هكذا أعراض لا تحصلُ إلا في حالة وجود انقباض عضلي شديد، كما في حالة التشنج أو رد الفعل الحركي المفرط، ولكن كيف يمكن حدوث ذلك، والضحية قد ماتت موته معروفة ومحددة، هذا أمرٌ بعيدٌ كل البُعد عن التصديق، فقط نوع معين من الضفادع، من تُظهر ردة فعل حركياً بعد موتها، وتحت ظروف خاصة..

أنا معك في هذا الاعتراض، إذ أن الضحية قد ماتت بسقطة نظيفة كما أسلفت سابقاً..

رد المساعد رافعاً حاجبية الطويلين باستغراب، ضائعاً وسط حيرته المدقعة، بعد عجزه عن استيعاب مقصدي، قائلاً في تساؤل:

أتُرجحُ فرضية تعرضهِ لهجوم من شخص ما مثلاً..؟! فكما سمعت سابقاً، أنه يبقى وحيداً في شقته موصداً بابها من الداخل، ولا توجد هنالك أيُ منافذ محتملة، تسمح لأي أحد بعملية التسلل..

صحيح ما قلت، ولكن ماذا إذا تعرضت الضحية للهجوم من شيءٍ مجهول بدلاً من شخصٍ مجهول، تركت فعلتها من غير أدلة معروفة بعد أن أتت على الضحية، حيث كانت موجودة في الشقة أساساً..

وقتها زاد تعقيد الموقف على المساعد المشدوه، فقال منفعلاً محركاً يديه أمامه في اعتراض:

أنتظر أنتظر قليلاً.. ما هذه الفرضية التي أتيت بها قبل قليل..؟! كيف تستطيع قول مثل هذا الكلام الغير مُتقبل..؟!

رددت عليه موضحاً موقفي بشفافية وصراحة أكثر وقلت:

أنا لم آتي بما هو مستحيل على المنطق، والذي أقصده أن ما أدى إلى سقوط الضحية، لربما كان أصلاً قد وجد في الشقة من قبل وقوع الحادث بوقت طويل.

ماذا..؟! "هتف المساعد بأعلى صوته مندهشاً" ثم أكمل قائلاً:

كيف بالإمكان حصول ذلك، وكيف لشيءٍ موجودٍ قبلاً في شقة الضحية، أن يكون سبباً في وفاتها، هذه النقاط لا تتصل إطلاقاً إلا في حالة..

قاطعت عبارة المساعد في إضافة إلى كلامه وقلت:

إلَّا في حالة أن يكون الضحية بنفسه، من سمح للقاتل بدخول الشقة في وقت سابق، ومن غير علمهِ حينئذٍ بالنوايا الخبيثة المبيتهِ تجاهه..

رد المساعد مصعوقاً وقد أستحال عليه تصديق فرضيتي المعقدة وقال:

ربَّاه.. إذن المشكلة خطيرةٌ جداً في هذا الشأن..!!

أرأيت كيف.. الآن فقط أمسكت طرف الخيط الحقيقي، إذ أنني لم أستطع ربط الكثير من النقاط منذ بداية التحقيق، لأنها كانت غير منطقية إطلاقاً بالنسبة لي في وقتها، ولكن أختلف الأمر كثيراً الآن، بمجرد رؤيتها من وجهة نظر أخرى مستفيضة خارجة عن السياق..

رد المساعد وقد تبسم بتأثر وعينية تلمعان ذكاءً وحماسةً قائلاً:

معنى هذا أنه في حالةِ وجود قاتل محتمل، فسيكون من أحد معاريف الضحية، وقد أستخدم هذه العلاقة الخاصة، ليستطيع الدخول إلى شقته من دون إثارة أي شبهات..

صحيح تماماً.. وبالإضافة إلى أنه قد أستفاد من هذه المعرفة أيضاً، لينصب فخًّا متقناً معتمداً بذلك على العادات اليومية للضحية نفسه، فبدى سقوط الضحية للجميع من الشرفة في توقيت معين، وكأنه حادث عرضي لا أكثر، حتى لا تحوم لاحقاً أي شبهات حول آليه الجريمة المرتكبة، ولكي تُقبل تلقائياً بلا رفض إحدى الفرضيتين السابقتين - الانتحار أو الحادث العرضي - أمراً مسلماً به.. بقي عليّ الآن كشف الطريقة التي طبقها القاتل، لأستطيع حينها استيعاب كامل خطوات ارتكاب الجريمة، ولكي أخرج بنتيجة نهائية مستوفاة..

أردف المساعد وابتسامة خفيفة متعبة مرتسمة على شفتيه قائلاً:

أرجو أن تكون قد توصَّلت أخيراً إلى حلٍ مُرْضي، لأنني نلت كفايتي من التشويق لهذا اليوم، أشعر ببعض الصُداع جرَّاء ما قُمتُ به من عصف ذهني حتى الآن، أتريد قدحاً ساخناً من الشاي العدني بالحليب..؟؟

أجبت عليه مبتسماً باندهاش، أهز رأسي بحرج قائلاً:

هنا.. لا لا شكراً..

رد المساعد ممتعضاً مقوساً حاجبية:

حسناً كما تريد، أنت الخاسر، سأكون موجوداً في المطبخ بالغرفة المجاورة، فإذا احتجت أي شيء من المتعلقات الشخصية، التي كانت مع الضحية ساعة الحادث، فستجدها كلها في تلك السلة..

حسناً.. شكراً لك.. "رددت عليه ومضى المساعد بعدها في شأنه"

بقيت لوحدي أقلب على مهل محتويات السلة، التي وُضعت فيها متعلقات الضحية، والتي كانت محدودةً جداً، مجردُ سماعات سلكية للهاتف، وهاتف محمول، ومقياس للأطوال من النوع الذي يستخدمهُ عُمال البناء، كان بجيب الضحية ساعة وقوعها، كما دُون في التقرير المُرفق، حيث وضِعَتْ المتعلقات الشخصية كُلاً على حدة في أكياس بلاستيكية معنونة. باشرت بالمقياس والسماعة ولاحظت أن السماعة متوقفة عن العمل، أما المقياس فلم يظهر عليه أي تفصيل لافت، ثم انتقلت إلى الهاتف المحمول. قلَّبته بيديّ أتفحَّص حالته، ثم حاول تشغيله، ولكن من دون أي فائدة. هتفت حينها رافعاً صوتي مخاطباً المساعد:

هل تأكدت من سلامة عمل الهاتف من قبل..؟!

أقبل المساعد في لهفة وقال:

الهاتف.. لا.. لم يشتغل إطلاقاً ولا حتى السماعات، يبدو أن قوة الصدمة قد أثرت فيهما، برغم أن مظهرهما الخارجي يوحي عكس ذلك، أرجو منك المعذرة، سأخرج قليلاً لأجري اتصالاً هاتفياً خاصاً، نادني عندما تسمع صوت صفارة الغلاية الكهربائية..

غادر المساعد وقتها، وعدت للانخراط في التيار المتدفق لأفكاري الجارفة، مستعرضاً كافة الحقائق المتوفرة، ومحاولاً إيجاد قاعدة أساسية، تجمع كل هذه النقاط المتفرقة - ببعض - التي قمت بجمعها حتى الآن، حتى إذا سرحت في بالي بعيداً بعد فترة زمنية محتدمة، وصل إلى مسامعي يتعالى، صوت صفير الغلاية الكهربائية، فناديت على المساعد:

هآاااي يا أنت.. الغلاية.. أين ذهب هذا المساعد..؟؟

لم يسمع المساعد ندائي حينئذٍ، فتقدمت بنفسي لأطفئ الغلاية، ولكن فجأة.. وأثناء مشيي صوبها.. شُدهت وتسمرت في مكان بلا مُقدمات، فقد كانت الدهشة وقتها، أن بلغت ذروتها بمجرد رؤيتي للغلاية وهي تصفر بشدة. أطبقت لحظتها ناظريّ عليها في تحديق مُهيب، وطفقت أبصر عملها في أخذةٍ منبهرةٍ مُستحِكمة، حينها التمعت في رأسي فكرة بارقة على غير المتوقع، فهتفت على إثر تلك الصحوة - في انبهار - بأعلى صوتي مرة أخرى منادياً المساعد:

هآاااي يا أنت.. الغلاية..

أقبل المساعد يتخبط مسرعاً ليطفئ الغلاية، وقال بصوت رصين مُنزعج:

إسمي هو عادل.. اوه يا رحيم السماوات، الم تستطع إطفاء الغلاية بنفسك..

لا لا.. "رددت عليه بانشراح بالغ وسرور قائلاً":

أقول لك الغلاية هي الحل..

ماذا..!؟ "هتف المساعد مستغرباً كعادته.." الغلاية الكهربائية..!! كيف ذلك..؟؟

نعم الغلاية الكهربائية.. أعطني مفك براغي..

ناولني المساعد حينها مفتاح براغي من درج قريب، وبقى يرقبني في تركيز وأنا منهمك في فتح الهاتف عن آخره، وقلت حينما أنهيت عملي:

أنظر هنا.. إلى اللوحة الأم.. ماذا ترى أمامك..؟؟

رد المساعد: ليس الكثير.. أنا لست اختصاصيّاً فنيّاً..

صحيح ما قُلت.. لست على علم بآلية عمل الدارات الإلكترونية المعقدة، ولكن ستلاحظ آثار العطب والاحتراق الداخلي، في بعض المكثفات والدارات، وهذا لا يحصُل إلا عند تعرضها لجهد أو صدمة كهربائية قوية، وسنتأكد من هذا الكلام، إذا ما أستخدمنا جهاز الأميتر..

إذن قل لي.. كيف تُفسر وصول التيار إلى داخل الهاتف..!؟

نعم كيف..؟! وهنا أتى دور الغلاية الكهربائية، أو بالأصح طريقة عمل الحث الحراري، الناتج عن سريان التيار الكهربائي الشديد، في أسلاك خاصة ذات مقاومة العالية، والتي كانت السبب في حدوث الصدمة الكهربائية، بالإضافة إلى تحويل المركب الحلقي إلى حالته السائلة، يبدو أنني قد توصلت أخيراً لحل هذا اللغز المُعقد، وأعتقد بأنني قد كونت أيضاً رأياً متماسكاً عن هوية الفاعل، يجب أن أنطلق من فوري وأبلغ الضابط عبدالكريم بالنتائج التي توصّلت إليها، وأُحكم أخيراً الكشف عن حل اللغز الخطير، شكراً على تعاونك معي وإلى اللقاء..

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

الفصل التاسع

أخذت القضية الغامضة التي نواجهها تطوي فصولها الأخيرة، في انتظار قريب للحل النهائي، على أمل في انفراج أكيد هذه المرة، فصحيح أن قضيتنا أخذت أبعادً غير مألوفةً في هيئة تكوينها منذُ البداية، واستحالت لوقت طويل على الإستيعاب، ولكننا إذا أخذنا في الاعتبار العناصر التي وظفت فيها بفاعلية، كعناصر الزمان والمكان، والتي كانت هي العامل الرئيس في آلية عملها، وأحكمنا فهم أسلوب التلاعب بهذه العناصر بطريقة جيدة، فسنستطيع التغلب على مستوى الدهاء الذي حيكت به الجريمة، وسنتوصل في آخر المطاف إلى نتيجة منطقية مذهلة، تفوق في مستواها كل ما يستطيع التفكير المحدود إدراكه، فحتى إن بلغت العقلية الخبيثة دروتها واستطالت بشرورها لوقت طويل، فستجد في نهاية المآل ما يفقدها قيمتها بمنتهى البساطة، إذا ما فُككت وفُهمت أدوات عملها الأساسية وعزلت كُلاً على حِدى، ففي هذه المرحلة بالذات، أدركت أخيراً الصورة الاكيدة لطبيعة نشؤ هذه الجريمة وميكانيكية عملها، وامتلكت الرأي السديد عن الهوية الحقيقية لمرتكبها، ولو تبقت لي حتى الآن، بعض الجزئيات التي وجب عليّ إضافتها لاحقاً حتى يكتمل ملف التحقيق، لدى انطلقت مسرعاً مع المعاون تجاه مسرح الجريمة بعربة تنهبُ التراب نهباً، في حين كانت الساعة قد تعدت الثالثة فجراً، لألقي نظرة أخيرة على المسرح الحقيقي للجريمة، وأجد ذلك الدليل الدامغ الذي لطالما غاب عن بالي منذ البداية، حتى أستطيع من خلاله ربط جميع جزئيات الحادثة بعضها إلى بعض في خط مستقيم واحد، وأوثقها في آخر المطاف إلى يدي المُجرم الحقيقي..

ترجَّلت على عجل لحظة وصولي للموقع، وأمرت المعاون رأفت أن يجمع في محل الإنترنت، كل من كانت له صلة بالضحية، حتى يتسنى لنا لاحقاً استدعاؤهم دفعة واحدة إلى الشقة، وقت إعلان هوية مرتكب الجريمة.

صعدت السلالم مسرعاً - بعدها - ودلفت إلى شقة الضحية، وفي الداخل وجدت الضابط عبدالكريم ممسكاً ببعض الأوراق منهمكاً في مراجعتها، وبجانبه شيخ الحارة، لكنني تفاجأت حينما بادرني على غير المتوقع قائلاً:

لقد كنت منتظراً وصولك، لديَّ بعض الأخبار المشوقة التي وصلت حديثاً.

رددت عليه وقلت بحماس وحرارة:

وأنا أيضاً قد توصَّلت إلى نتيجةٍ مذهلةٍ لم تكن في الحِسبان، لكن انتظرني لعدة دقائق أولاً..

يمَّمت بعدها شطر لوحة القواطع الكهربائية العائدة للشقة، قصد التأكد من شيءٍ خاص، ثم توجَّهت فور إنتهائي إلى الشرفة، وأخذت أتفقد سياجها عن كثب لبعض الوقت، ليتبعني حينها كُلاً من الضابط وخبير جمع الأدلة، وقلت وأنا منصبٌّ في عملي:

أتذكر في ذلك الوقت، عندما لم نستطع تحديد الكيفية، التي جعلت المركَّب الدهني، الذي كان سبباً في إنزلاق الضحية وسقوطها، يظهر بحالته المُسالة.

رد الضابط عبدالكريم متفاعلاً مع سؤالي باهتمام وتركيز:

نعم أتذكر.. وقلت أيضاً أنه أحتاج لمصدر حراري مُرتفع، ولكننا عندما فتشنا أرجاء الشقة وقتها، لم نجد أي دليل على وجود المصدر الحراري.

نعم.. وقد أكدتُ أيضاً أنه ذا علاقة مباشرة بالحادث..

أتقصد الموقد..؟!" رد الضابط عبدالكريم مستفهماً"

نعم الموقد.. أوتدري لماذا لم نستطع العثور على الموقد في ذلك الحين..!؟

لماذا..!؟ أنا لا أفهم ما ترمي إليه..!!

التفتُّ إليه وقلت وطرف ابتسامة خبيثة تبرز على نواجدي:

دعني أخبرك لماذا.. لأننا كنا جميعاً ننظر للجانب الخاطئ..

أنا لم أفهم أي شيء مما تقول..!! وما الذي جدّ الآن يا ترى..؟؟

حسناً جداً.. سأوضح لك نظريتي أكثر، لأن الأمر بمنتهى البساطة، ولأن ما تراه أمامك الآن مباشرة، هو الموقد الذي كُنا نبحث عنه منذ البداية. "وأشرت بيدي أمامه.."

تعجب كُلاً من الضابط عبدالكريم وخبير جمع الأدلة من تفسيري المُبهم، فأستدرك الضابط الكلام باستغراب شديد وقال:

أين هو إذن..؟؟ إني لا أراه..!؟

إنه هُنا.. "ووضعت يدي على سياج الشرفة الحديدي" ثم أكملت قائلاً:

لقد كان موجوداً أمامنا طوال الوقت ولم نستطع ملاحظته..

هتف الضابط عبدالكريم بإنفعال وقال:

كيف لهذا الأمر أن يحدث..!! أنا لا أصدق شيئاً..؟!

بلى صدِّقْ.. وأنظر لأسفل السياج، للشريط السفلي، ماذا ستجد..

دنى خبير جمع الأدلة يتلمَّس الشريط السفلي للسياج، وإذا به ينتزع سلكاً معدنيّاً طويلاً ثُبِّت عنوةً أسفله، فهتف الضابط مرة أخرى في ذهول وإنبهار وقال:

ما هذا الشيء..؟؟

هذا سلك خاصّ مكوّن من سبيكة النيكل كروم، ذو قدرة عالية على مقاومة مرور التيار الكهربائي، نستطيع بكل سهولة أن نجعله يُطلق حرارة ذا درجة مرتفعة، بمجرد أن نمرر التيار الكهربائي عبره، كما هو الحال في المكواة الكهربائية وجهاز سخان الماء، ويمكنك التأكد من صحة كلامي هذا، بقياس المقاومة بين طرفي السلك باستخدام جهاز الأفوميتر، وإذا نظرت إلى أسفل الشرفة من الخارج، سترى جزءاً من السلك الكهربائي المستخدم لإنارة مصابيح لوحة محل الإنترنت التي في الطابق الأرضي، قد خُرق بمقدار يسمح بتوصيل التيار الكهربائي لطرفي سلك النيكل كروم، والذي سبق وثُبِّت به بعد إلصاقه بأسفل السياج، وبذات الأمر يصبح كامل سياج الشرفة موصلاً للتيار الصاعق، بحكم انه مجردٌ تماماً من أي غلاف عازل، وهذا هو الجزء الثاني الذي أعتمد عليه المجرم لإتمام خدعته الخاصة.

لم أكن قد وصلت لهذه المرحلة من التفسير، حتى تجمَّدت ملامح كِلاَ الضابط عبدالكريم وخبير جمع الأدلة عن آخرها، وخارت البابهم عن التصديق لوهلة، فتداركت حينها الموقف وقلت مبتسماً بتؤدة:

هذا ما توصّلت إليه حتى الآن، تبقت لي خطوة أخيرة لأتمها، حتى أتأكد من الهوية الحقيقية للمشتبه به، ويغلق بعدها نهائياً ملف التحقيق في القضية.

حينها أردف الضابط عبدالكريم إليّ قائلاً بتفاؤل وحماسة قائلاً:

جيد جداً ما قمت به حتى الآن، ولكن أنظر لما أحضره شيخ الحارة من منزل الجدّة، لأنني لا أعتقد أنه يقل كثيراً عن قيمة استنتاجك الأخير.

ناولني الضابط كيساً بلاستيكياً مليئاً بالأوراق، ومظروفاً أحتوى على ورقة صغيرة، بها رقم تسلسلي وبطاقة ائتمان مصرفية، لأنهمك حينها مباشرة بتفحصهم جميعاً وربطهم بقضيتنا الخاصة، وقلت بعد أن تفقدت المحتويات بعناية، وقلبت الموضوع في رأسي بتفهم:

هكذا إذاً.. الآن بِتُّ على يقين من الدوافع الحقيقية التي جعلت المُجرم الخبيث يُقدم على فعلته النكراء، أرجو استدعاء المعاون رأفت إلى هُنا حالاً وعلى جناح السرعة، لأنني أرغب بإعطائه مهمة أخيرة لينجزها.

أقبل المعاون من فوره، فطلبت منه طلباً بسيطاً، شريطة تنفذه بمنتهى السرية والتكتم، بمجرد صعود الجميع إلى الشقة، ليمتلك حينها الوقت الكافي والغطاء المناسب الذي يمكنه من إتمام مهمته المستعجلة، والرجوع ببقية الدليل الدامغ الذي يدين المشتبه به. أنطلق المعاون صوب هدفه فور اكتمال

تواجد المعنيين بالقضية، في وقت كُنت قد اتفقت فيه قبلاً مع الضابط عبدالكريم على خطة، نستطيع من خلالها كشف الهوية الحقيقية للمجرم نتبادل فيها الأدوار، وها قد أتى وقتها..

تقدم الضابط ليقوم بعمله ويتكلم مع الحاضرين، يخبرهم عن النتيجة النهائية التي توصل إليها، والذين كانوا في مجملهم ممن ربطتهم علاقة بمحل الإنترنت، بالإضافة إلى شيخ الحارة والأستاذ فضل جار الضحية وابن عمتي حسام، حيث أصر هو الآخر على التواجد لأجل معرفة الحقيقة الكاملة لموت صديقه عمار.

بدأ الضابط الكلام تحت أعين المتابعين له، وقال بصوت هادئ رصين:

أعتقد أنكم جميعاً تتساءلون عن السبب الأساسي في استدعائكم إلى هذا المكان، ولعل البعض أيضاً يُرجح علاقة هذا الاستدعاء، بمعرفة مستوى التقدم الذي وصلنا إليه في التحقيق، وعن الخاتمة التي ستنتهي بها القضية، ولكنني قبل ذلك سأقول لكم شيئاً آخر، دعوني أُطلعكم أولاً على الطريقة التي أتبعها المجرم ليستطيع بها تنفيذ مخططه الآثم، لدى أرجو منكم أن تصغوا جيداً لما سيقوله السيد مهران:

وقفت أمام الجميع متطلعاً في وجوههم الحائرة والمتعطشة للحقيقة في آن واحد، وقلت مستفتحاً كلامي:

مساء الخير أيها السادة، وإن كان القول متأخراً بعض الوقت، أشكر الضابط عبدالكريم قبل كل شيء على كلمته القصيرة، وأرجو من سيادتكم

الإنصات إليّ بصبر لما سأقوله لكم، لأن الشرح معقد وسيطول بعض الشيء، ولكنني أعدكم أنه فور إنتهائي من التفسير وطرحي للحقائق كاملة بلا تحيز، سنتوصل لنتيجة مقنعة تكشف الغموض الذي أكتنف الحادث، تزيل الطبقة القاتمة التي غلفته حتى الآن، لدى حتى ذلك الحين، أتمنى أن تتحملونني برحابة صدر، وها هو إليكم السيناريو الذي حدث.

في بادئ الأمر، وُجدت الضحية ملقاةً على رصيف الشارع، بعد أن أقدمت على رمي نفسها من شرفة شقتها العالية لأسباب غامضة، وهذا الاعتقاد كما هو معروفٌ، ما تبناه الكثير مُنذ الوهلة الاولى، لكن دعوني أصحح اعتقادكم هذا، وأقول لكم أنه وجهة نظر خاطئة تماماً، فما حصل بالواقع، هو أن الضحية قد رُميت بفعل فاعل..

أنذهل أغلب الموجودين وقتها وعمت الغوغاء فيما بينهم، فإذا الأستاذ فضل فجأة، يهتف مُقاطعاً كلامي بإنفعال وعصبية، والأوردة السطحية لجبهته تبرز بشدة للخارج قائلاً:

هل تُريد القول بأن الذي وقع هُنا هي جريمة قتل..؟؟

نعم.. لقد وقعت جريمة قتل بالفعل.. "أجبته ببساطة وإيجاز"

أردف إليّ قائلاً بنفس الانفعال:

كيف ذلك والشقة مُغلقة من الداخل، ولم يكن مع الضحية أي شخص لحظة سقوطها..؟!

أنا سأقول لك كيف.. لأن الضحية وقعت بعد إصابتها بصدمة كهربائية شديدة، أضعفت قدرتها على التحكم بحركتها وأدت إلى فقدانها التوازن، وحدث ذلك فقط، بمجرد أن مست بيدها سياج الشرفة الغير معزول..

همهم الجميع عندها واضطربوا قليلاً، ولكن الضابط عبدالكريم هدَّأهم بسرعة، مما مكنني من المواصلة، وقلت مكملاً:

أعتقد بأن الجميع الآن يتساءل حول الكيفية التي أصبحت بها الشُرفة خطرة بهذه الطريقة، إذ أن القاتل قد خطط لذلك بعناية في وقت سابق، حيث صعد إلى شقة الضحية قبل يومين من وقوع الحادث، بعد أن سمح له الضحية بذلك، حيث كان حينها على عِلمٍ مُسبق، بأمر السلك الموصل للوحة الضوئية لمحل الإنترنت، والساعات المحددة لإضاءتها، فغافل الضحية بطريقة ما، وثبَّت سلكاً غير معزولاً من النيكل كروم أسفل الشرفة - في بقعة مخفية - مستفيداً من خلو السياج من أي مادة عازلة، وأوصلهُ إلى سلك إضاءة اللوحة بطريقة خاصة، بعد تأكده من خلوه من التيار، وقام كخطوة أخيرة له، بتغطية سلك النيكل كروم بكمية كافية من المركب الدهني، الذي سيذوب لاحقاً وينساب منتشراً على طول أرضية الشرفة، بمجرد سريان التيار الكهربائي في سلك لوحة المحل، حيث قام بذلك كله، مستفيداً من إنشغال الضحية في ذاك الوقت بأعمال الترميم بعيداً عن الشرفة، فنصب فخه مطمئناً، مع عِلمهِ بأن الضحية ستمكث يومها خارج الشقة في وقت مُبكر، ولن يكون بمقدورها وقتها، تشغيل لوحة المحل لمدة يومين لاحقين، حيث أن مفتاح تشغيل اللوحة الإعلانية الخاصة بمحل الإنترنت، تقبع في شقة الضحية، وسلك توصيل التيار

موصولٌ إليها، ففي ظل هذه الإستراتيجية المُعقدة، سيهمدُ الفخ لِعدةِ أيام، وهذا ما سيُبعد القاتل عن دائرة الشبهات، ثم ستجد الضحية الغافلة المصيدة في انتظارها، بمجرد عودتها للشقة في اليوم الثالث، لتقوم بتفعيلها بنفسها ومن غير إدراكها في الساعة السادسةِ مساءاً، حسب التوقيت المدبر له، حيث ستكون بعدها وفي وقت دقيق تماماً، مع لقاء بمصيرها المحتوم..

جُفل الجميع وشخصت أبصارهم عند هذه النقطة، بعد سماع التفسير الغريب للتركيبة التي أتبعها المُجرم لتنفيذ خطته الماكرة، فبادر قُصي عندها متسائلاً بفزع والعرق الغزير يتفصدُ من جبهته قائلاً:

أتعني بكلامك هذا كله، أن القاتل واحد منّا..!؟

نعم للأسف هو كذلك..

أغتال الوضع الراهن باعثٌ من السكون والتردد، وطغى شعور بالخوف والإطراب على أغلب تفاصيل الحاضرين، ليس من خطر محدق قريب، ولكن بعد معرفتهم بأن صديقهم قد مات مقتولاً، فأكملت سردي للأحداث محاولاً الخروج عن هذا النزوح الثقيل وقلت:

لم يكن هذا كل شيءٍ، إذ التزم القاتل بتسلسل متقن لإحكام تنفيذ خطتهِ الخبيثة، فلكي يجعل الضحية تقفز مهرولة للشرفة، لتقع مباشرة في الفخ من غير وعيٍ منها، تعمد الإتصال بها قبل ذلك بعدةِ دقائق، وأفتعل مشادةً كلامية في فترة أعتاد الضحية فيها يومياً، على التوجه إلى الشرفة لقضاء حاجة يعلمها الجميع، وعندما تأكد من أن الضحية قد امتلأت بالقدر الكافي من الغضب

والانفعال، طلب منها التوجه مباشرة للشرفة في الحال، حتى ترى وجه من يتصل بها أسفل العمارة، بالرغم من أن القاتل لم يكن متواجداً بالقرب على أغلب الظن حينها، في الوقت الذي يكون فيه الفخ قد أكتمل وبلغ نصابه، فما أن هرعت الضحية للشرفة، ووضعت يدها على السياج المكشوف، لتطل برأسها وتدنو للأسفل بحركة سريعة مندفعة خطيرة، حتى أصابتها الصدمة الكهربائية، فأختلج جسدها، وأختل توازنها، وفقدت مقداراً كبيراً من القدرة على التحكم بعضلاتها المُحركة ومالت إلى الخارج، في حين أدّت المادة الدهنية المسالة التي سبق وانتشرت قبلاً على طول أرضية الشرفة عملها، بعد تغطيتها لأقدام الضحية بالكامل، فأنزلق المسكين وهوى على إثرها للأسفل، من دون أي مقاومة تذكر، تحت قوة عجلة الجاذبية الأرضية، لتستقر بعدئذٍ في نزعها الأخير على رصيف الشارع، بعد أن يكون التيار الكهربائي قد قُطع عن كامل أجزاء الشقة، كرد فعل مُدبر عن الخلل الكهربائي الذي أصاب لوحة المفاتيح، لتبدو الجريمة بعدها للجميع وكأنها، حادث عرضي لا أكثر..

صمتُ لبرهة لأخد نفساً، واستعديت لتسديد ضربتي الاخيرة للمشتبه به، وقلت:

أوتدرون من له مصلحة في موت الضحية..؟! ومن يستطيع القيام بذلك كله من دون إثارة أي شبهات، إنه أنت يا ساهر..

الفصل العاشر

والأخير

ثبَّتُّ نظري مباشرة على ساهر والذي بدى بدوره ممتعضاً بشدّة، إذ تغيرت ملامح وجهه بطريقة مُنفِّرة، وأخذ يلوك شفتيه باستفزاز مُريع. بُهت الجميع من المشهد، وطفقوا في وضعٍ متجمّد يُنكرون موقفاً اعتراه سكوت مُطبق، حتى إنني تخيلت أنهم قد نسوا قدرتهم على النُطق، ولكنني لم أكن قد أكملت من سردي للوقائع، إلا وبدأ ساهر بالتملُّص من الأمر، وقال بطريقته السافرة المعهودة:

(هيا ملا كيف سكتنا لكم كثير، قلتوا معاكم تحقيق، قلنا تمام، قلتوا تشتونحنا، قلنا حاضر، هيا دلحين اش معانا ومعاكم، وايش الدليل حقكم قبل هذا كله، انو أنا اللي قتلت عمار، مكالمة التلفون يعني ولا كيف) ...؟؟؟

رددتُ عليه متحدياً ومستخفاً بكلامه وقلت:

تريد الدليل..؟؟ بالطبع ليس المكالمة الهاتفية كما ترجو، لأن هاتف الضحية قد أُتلف نتيجة الصدمة الكهربائية، ولا أعتقد بأن الشركة الموفرة للخدمة ستفيدنا كثيراً، لأنك ربما تكون قد أتصلت من رقم غير معروف، ولكن دعني أكمل لك بقية التحليل، لتتأكد من أننا قد أحكمنا قبضتنا عليك، فقبل كل شيء، كانت هُنالك عقبةٌ كبيرةٌ تتمثل في بقاء التيار الكهربائي سارياً في سياج الشرفة، بعد سقوط الضحية، ولذلك حرصت على أن تتلف بعض من أجزاء لوحة القواطع كنتيجة عن تفعيل الفخ، لتضمن وقتها انقطاع التيار عن كامل

الشقة، كرد فعلٍ تلقائيٍ للحادث، ومن ضمنها سِلك توصيل لوحة محل الإنترنت، الذي يُغذي بتياره سياج الشرفة الصادم، ولكن فوق ذلك كله، لم تكن الخطة لتكتمل، لو نُقل التحقيق إلى داخل الشقة، وأُصلحت لوحة القواطع من قِبلِ شخص أخر، لأن التيار سيعود حينها لحالته السابقة، وسيشكل ذلك خطراً جسيماً على نجاح خطتك، حيث سيُفعلُ فخُ سياج الشُرفة مرةً أُخرى، وتنكشفُ الخِدعة عندئذٍ بمنتهى البساطة، لذلك عمِدتَ على البقاء بالجوار على حسب ظني - كإجراءٍ احترازي - بعد وقوع الجريمة، لتتأكد من نجاح خُطتك وتطلع على أخر الاخبار أولاً بأول، وعندما قرر البوليس نقل التحقيق إلى داخل الشقة، برغم أن ذلك كان احتمالاً مستبعداً في البداية بدرجة كبيرة، وأحتاج حينها مهندساً كهربائياً كأمر بديهي، قدّمت نفسك بطريقة ملتوية وماكرة، عبر افتعال مشادةٍ كلاميةٍ مع الحارس الأمني أسفل العمارة، لتجذب الأنظار إليك ولتحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وتكون أنت حاضراً وقتها أمام الجميع، فعدت لساحة الجريمة عندئذٍ ببساطةٍ، وتنقَّلت بحُرية مُطلقة من دون إثارة أي شُبهات وفق صفتك الجديدة، وهكذا أتممت مخططك الأثم، واطمأنيت نهائيّاً لنجاح خُطتك الخبيثة، ولكن ما حصل للمحول الذي توسط الشقتين - في وقت سابق - أضعف تماسك خطتك المُحكمة، فلم تكن على عِلمٍ وقتها، من أن هذا النوع الجديد من المحولات، يُغلق الياً بمجرد أن يستشعر أدنى إطراب في أقرب نقطة موصّلة به، إذ اعتقدت سابقاً بأن الإغلاق سيخص شقة عمار وحده، وستشرع لاحقاً بإصلاحه بمجرد إغلاق ملف القضية، كما كان موضوعاً في مخططك، بيد أنك لم تضع في الحسبان، أن التيار الكهربائي سينقطع عن شُقةِ الأستاذِ فضل

أيضاً، حتى أمست تلك الهُفوة الفادحة شاهداً عليك، فكانت هذه هي الضربة القاسمة، التي أحدثت الصدع الخطير في تماسك خطتك، وذلك بمجرد معرفتنا لوقت الانقطاع في شقة الأستاذ فضل بالتفصيل، حينها فقط، بدأت الشكوك تراودني، بأن هُنالك من يُحاول خِداع رجال البوليس، ويعبث بمجريات القضية..

بمجرد أن نطقت بأخر كلمات التحليل، حتى تغيرت ملامحُ ساهر مرة أخرى بطريقة مفزعة جداً، فقد ارتسمت ابتسامة ساخرة بلهاء وبليدة على طول وجهه، وفاه فمه بطريقة غريبة مُقلقة، وفرغت عيناه وقتها تماماً، من أي تعبير أو عواطف يتسم بها الإنسان الطبيعي، فبدا حينها كلياً وبصورة رهيب، كغريبي الأطوار أو المختلين عقليّاً، ولكن الضابط عبدالكريم لم يسمح لهذه المهزلة بأن تستمر طويلاً، فقال مشيراً إلى أحد الحُراس:

خذه معك الآن إلى القسم لنكمل التحقيق هناك..

بيد أن ساهراً غيَّر من موقفه على الفور، وهتف للضابط بتدلُّلٍ وهوان مصطنعٍ قائلاً:

(ملا أنا اش سويت حرام عليكم، ليش تعملوا بي كدا، مافيش أي دليل مقنع ضدي، ويمكن يكون أي واحد عمل هذا كله وحنبنا بداله، ولا يمكن أنتم ما لاقيتوش أحد تاني تحملنه المسؤولية فجدلتوها فوقي أنا المسكين، ولا كيف يقع يا حضرة ابو العُريف)

قالها ملقياً إياها تجاهي في آخر الكلام بنبرةٍ مستفزة، ولكنني لم أدع له أي مجال ليتمادى أكثر، فأشرت بيدي حينها لتخترق صفوف الحاضرين مباشرة تجاه درج العمارة، وقلت:

أتريد الدليل الذي تبحث عنه..!! إنه هُناك ينتظرك..

فإذا بالمعاون يُطل من باب الشُقة، عائداً بمجرَّد إنهائهِ للمهمةِ الموكلةِ إليه، وبيدهِ بكرةٌ كبيرةٌ احتوت على سلك طويل ملفوف، بدا وقتها وكأنه من نفس نوعيةِ السلكِ الذي أُستخدم لتوصيل التيار الكهربائي وتسخين المادة الدهنية، فأكملت حينها مخاطباً الجميع وقلت:

هذا النوع من الأسلاك يأتي بطول إثنين وسبعين متراً في البكرة الواحدة، كما ترون مدوناً أمامكم على غلافها الجانبي. ثم وجهت كلامي إلى المعاون رأفت وقلت له:

من أين أتيت بهذه البكرة..؟؟

أجاب المعاون: من باص المشتبه به..

وكم مِقدار ما عددته من طولها..؟؟

اثنان وستون متراً وثلاثة وستون سنتيمتراً..

وكم تبقَّى إذن من طولها..؟؟

تبقت تسعة أمتار وسبعة وثلاثون سنتيمتراً.

وأشرت بيدي مرة اخرى مستديراً إلى الشرفة وقلت:

بقية السلك موجودٌ هناك وسنرى كم سيبلغ طوله.

تقدم خبير جمع الأدلة، وقام بقياس طول السلك المتبقي بدقة عالية، وهتف بذهولٍ بعد بضعة ثواني قائلاً:

يا إله السماوات.. ما الذي أراه الآن أمامي، إنه أمر لا يُصدق..

هتف الضابط عبدالكريم بدورة وقال:

ماذا هُنالك..؟؟ كم بَلَغَ طول السلك أخبرني سريعاً..؟!

رد مختصّ جمع الأدلةِ وقال:

سيدي.. إنه كما قال هذا الشاب تماماً.. تسعة أمتار وسبعة وثلاثون سنتيمتراً بالتمام والكمال، فلا يُوجد للصدفة أي مجالٍ هُنا، ولا حتى في أبعد تقدير..

لم ينتظر ساهرٌ كثيراً بعد أن كُشف الدليل الأخير، إذ ظهر أخيراً على حقيقته المقيتة، فأطلق صيحةً مختلةً عاليةً بصخب أربكت الجميع، وفي حركة خاطفة جذب شيخ الحارة إليه وطوَّقهُ من رقبته، موجهاً إليه مِشرطاً حاداً أستلَّهُ من أحد جيوبهِ مهدداً الجميع، مما أثار فزعهم واضطرابهم، باستثناء الضابط عبدالكريم، الذي أظهر وقتها رباطة جأش وثبات غير معهود، فأخرج هو الآخر مسدسهُ الخاص ووجهه صوب رأس ساهر صارخاً بشدة، وقد أطرمت ملامِحهُ بالحزمِ والصرامة قائلاً:

اِترك الرجل وشأنه..

رد ساهر بصراخ هستيري واللعاب يتطاير مع كلماته:

(هادي فلوسي أنا مش حقه، هو ما يستحق شي، هذا السارق الحقير، هادي كلها فلوسي انا)..

كرر الضابط عبدالكريم مطلبه مرة أخرى، في حين أحاط كُلّاً من المعاون والحُراس بالمشتبه به، لكن ساهراً كان قد سبقهم وتراجع ببطءٍ ومكرٍ تحت تهديد سلاحهِ تجاه درج العِمارة، فما إن أصبح خارج الشقة، حتى دفع شيخ الحارة بقوة تجاه الجميع مغلقاً الطريق أمامهم، ليندفع حينها مباشرة نازلاً بسرعة عجيبة يتقفزُ على الدرج. أنطلق المعاون في إثرهِ بلا تردد، مظهراً شجاعة وعزيمة منقطعة النظير، ثم ما لبثَ أن تبِعهُ الجميع وسط الهياج الشديد والصُراخ الهستيري الشبيه بصوت الحيوانات الذي أطلقه ساهر وقتها، ما أيقظ بفعلته المُنكرة تلك كُل سكان العِمارة، ولربما قام بذلك كله لسبب ما أو لعلها غريزة خبيثة فاسدة، حتى إذا ما أصبحنا كُلنا في الشارع في تلك الساعة من الفجر، وجدناهُ أمام بوابةِ محلِ الإنترنت يحتجزُ أحد المارة - مرةً أُخرى - مشهراً سلاحهُ المُتعطش إلى عُنقِ الرهينةِ المفجُوع المُسالم، متجاهلاً الدِماء التي سالت جراءَ انغراز جُزءٍ من المشرط في عنق المسكين، وما زال على هذا الحال حتى أُحيط به وطُوقَ من كل جانب من قِبل رجال البوليس، وسط الصراخ والوعيد الشديد الذي تقاذفتهُ الألسن. عجزتُ لحظتها عن القيام بأي شيء ممكن، حينما رأيت الموقف قد وصل إلى هذا المستوى من الخطورة، حيث أصبحت كل السيناريوهات المتوقعة قاتمة مضرجة بالحمرة، ولكن الموقف الحَرِجَ لم يَطُل أكثر، فقد مال على غَرةٍ من الجميع طرفٌ من لوحة محل

الإنترنت، حيث تفتقت مساميرُها المثبتةُ بطريقةٍ عجيبةٍ غير مسبوقةٍ، جراء المطر الغزير الذي أنهمر البارحة، وما هي إلا لحظةٌ خاطفةٌ مرت، حتى هوا طرفها بقوة على رأس ساهر لينتهيَ حينهاَ كُل شيء..

انتهت قضيتنا الغامضة تلك بطريقة غير متوقعة إطلاقاً، إذ فرضت المشيئة الإلهية كلمتها في الأخير..

مضى الكل في سبيلهِ بعدها، وعُدنا صباحها إلى المنزل ومعي بعض مِن قِطع (الخمير)، كانت الجدّةُ سوسن قد أعدتها لنا خصيصاً، كعربون شُكرٍ على المساعدة التي قدمناها، وقام الضابط عبدالكريم بإيصالنا بنفسه إلى محل إقامتنا، عرفاناً لي وتقديراً لجهودي، وقال حينما وصلنا:

أشكرك أيها الشاب على الخدمة التي قدمتها لنا، ولن ننسى أبداً هذا الجميل، خذ هذهِ بطاقتي التعريفية، وأتصل بي إذا ما واجهتك أيُ مشاكل. ثم تركنا ومضى في طريقه..

توقفنا أمام بوابة المنزل بعد ذلك، ليقول حسام حينها مسترسلاً:

أخيراً انتهت القضية على خير ما يُرام، ولقيَ ساهرٌ ما يستحق، برغم أنني لا زلت متفاجئٌ تماماً، حول كيفية حدث ذلك كله..!!

لا تستغرب أي شيء، فأي أمر بالإمكان أن يحدث هكذا فجأة ومن دون مُقدمات، ففي خِضم هذه التجربة الفظيعة التي مررنا بها، أتضح مؤخراً أن ساهراً قد أختلس مبلغاً كبيراً من إيرادات المحل بغير حق ومن دون عِلم الجميع، إلى أن أكتشف عمارٌ ذلك مُصادفة، فألزمه حينها على الإمضاء على

كمبيالات بمقدار ما أخذ من مال حتى تكون ديناً عليه، ثم أودع إيرادات المحل المتبقية - بمجرد إدراكه لخطورة الموقف - في حساب بنكي، وترك الكمبيالات وتفاصيل حسابهِ بحوزةِ جدته، حالما أحس شرّاً مُحققاً من جانب ساهر، ولكن ساهراً حينما عجزَ عن تسديد ما عليه من ديون، وأطّربَ تحت سطوةِ الدين المُحكم، أقدم على جريمته المُنكرة، معتقداً من أنه بذلك سيستطيعُ التخلصَ من دينهِ حين لا تظهر الكمبيالات لأي أحد، وسيستلم بعدها نصيبه وافياً من أُصول المحل، وبذلك يكون قد أصاب عصفورين بحجر واحد، فقد تبين لي أيضاً، من أن ساهراً هو من قام بمهاتفة التاجر بعد إقدامهِ على جريمته، وذلك باعتراف التاجر نفسه، بمجرد أن أمن من أن جريمته لن تُكتشف مطلقاً -حسب اعتقاده - وسط التعقيد الذي نسج به مخططه، فصحيح أن القضية قد استصعبت عليّ في البداية بعض الشيء، إذ كانت معقدة في تركيبها، حتى إن القاتل بنفسه، لم يستطع نصب فخهِ دفعةً واحدةً، بل أضطر لتجزئتهِ إلى عدةِ مراحل متتالية، ليظهر في الأخير بصيغته المعقدة تلك، والتي يطلق عليها بالمناسبة باسم (ألغاز الغرفة مغلقة)، ولكن أنّى له ذلك، فمثلما تُدِين تُدَان، ولقي ذلك الفاشل العقاب المُناسب جزاء أفعاله، فالعاقبة الأخلاقية دائماً ما تأتي قاسية جدّاً في نهاية المطاف، وعلى حسب المثل العدني القائل "على حساب الناس.."

أردف حسام ساخراً بتهكم:

"تحلى عيشة الناقص" صحيح ما قُلت يا ابن خالي، فإن الناقص في العقل والأخلاق تكون هكذا نهايتهُ دائماً، ولكن قل لي صِدقاً، أتظن أن ساهراً كان سينثني عن عملته، إذا ما نصحه شخص ما من قبل..؟؟

لا أظن ذلك مُطلقاً.. لأن العقليات الإجرامية تواجه دائماً صعوبةً في التغير والتعلم من أخطائها، وذلك لأسباب تكوينية بحتة، وإلا لكانت السجون خالية من المجرمين..

ثم أردفتُ لحسام حين لاحظت سلة كبيرة كان يحملها معه منذ مغادرتنا وقلت:

ما ذلك الذي تحملهُ بيدك..؟!

ماذا.. هذه.. هذه هدية زفاف عمار، كان قُصي قد أشتراها منذ فترة، ولكنه لم يعد بحاجة إليها بعد الآن، فأعطاه لنا..

دنوت لأفتح غِطاء السلةِ، فإذا بكائن صغير ذو فرو ناعم يُطل بعيون ناعسة لطيفة، لأقول حينها مباشرةً بابتهاج فور رؤيته:

أوه يا إلهي.. إنها قطته صغيرة.. يا للدهشة.. إنها قطة روسية على وجه التحديد..

رد حسام مُغمغِماً سؤاله:

وكيف عرفت أنها روسية..؟!

من فرائها الرمادي واللون الأخضر لعينيها، ولكن خُذها لا أريدها، لأنها ستفزع باباروت..

ولكن ماذا عن بطارية السيارة، الم تقل بأنك ستهتم بشأنها.

أعطيتُ حساماً علبة المشروب الغازي، وقلت وأنا داخل للمنزل:

صُب المشروب على أقطاب البطارية بحذر، ثم قم بتنظيفها جيداً، وهكذا تنتهي المشكلة..

هكذا فقط.. حسناً لك ذلك..

تمت...

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

مجموعة المغامرات والقضايا

التي خاضها المحقق أحمد مهران حتى الآن:

١/ حيلة صندوق العُدة

٢/ أحجية الشفق القرمزي

٣/ قضية العازف المفقود

٤/ خطب بعد الثانية عشر

٥/ سر الخطوات الماكرة

٦/ لغز القصاصة الورقية

٧/ جريمة في جزيرة الموج الهادئ

٨/ لغز اختفاء اللوحة الفنية

٩/ جريمة في القرية

١٠/ جريمة في الشارع الرئيسي

١١/ رسالة من المستقبل

تم تجهيز هذا العمل كلياً بواسطة الكاتب نفسه،

من تنسيق وتدقيق ورص وتصميم للغلاف وما إلى أخرة..

لدى عزيزي القارئ..

إذا واجهك أي قصور في العمل،

فيرجى غض الطرف عنه..

مع تقبل واسع بصدر رحب، لكل الملاحظات والانطباعات والأسئلة الخاصة بالعمل.

نلقاكم بالأعمال القادمة بإذن الله.

وشكراً..

أخوكم ذويزن الشرجبي

The Adventures of Ahmed Mahran

ضحية لفضلت أنفاسها الأخيرة بعد سقوطها من شرفة شقتها العالية وقضية غامضة حيكت خيوطها الخفية بإحكام .

فهل يستطيع صديقنا المحقق كشف اللغز الخطير في قضية استحالت في آخر المطاف الى جريمة في غرفة مغلقة...؟؟!!

كل هذا و أكثر ستجدونه في السلسلة البوليسية العدنية لمغامرات المحقق أحمد مهران و قضية بعنوان :

جريمة في الشارع الرئيسي

978-91-89288-55-3

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-

Stockholm